تصوف

٢٢

تبصرة الإنسان

محمد سعيد

تصوف

۲۲

تبصرہ الانام

محمد سعید

ترجمة الرسالة اللطيفة المسماة بتبصرة الأنسان
للعالم الفاضل محمد سعيد افندي مكتوبجي ولاية ديار بكر
سابقا ومتصرف معمورة العزيز لاحقا ومترجمها
من اللسان التركي الى اللسان العربي عبد الرحمن
الشوقي مترجم خزينة الحجاز كان الله لهما

تصوف
٢٢

Moh

Mohamad aulla aaly
allamee

Mohamad Sally Sakay.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى اما بعد يقول العبد الفقير
الى مولاه الغنى القدير عبد الرحمن الشوقى مترجم خزينة الحجاز لما رايت
الرسالة اللطيفة الموسومة بتبصرة الانسان للعالم الفاضل والاديب الكامل
المنشى اللبيب الماهر بكل فن عجيب سعادتلو محمد سعيد افندى مكتوبجى ولاية
ديار بكر سابقا ومتصرف معمورة العزيز لاحقا احببت تعريبها لان زبانها باللغة
التركية ليعم نفعها لما فيها من الفوايد العمومية والمنافع الدينية والدنيوية
لاسيما للاولاد الصغار الذين فيهم خميرة الاستعداد وجوهرة القابلية
لتحصيل الكمالات التى لابد للانسان منها فاقول وبالله التوفيق
قد صدر الامر العالى الملوكانى من لدن سلطان اقليم وجود الانسان
المسمى بالحياة الى عموم رجال مملكته بان الطفل اليتيم المسمى بالنفس
حيث كان والده من اكابر المملكة واعيانها الزمت عليكم ان تسلموه الى
شيخ فاضل واستاد ماهر ليعلمه العلوم النافعة والاداب الانسانية
ففى اثناء المذاكرة فى هذا الخصوص بين الرجال المشار اليهم اذ ورد عليهم
الشيخ الكبير والعالم النحرير شيخ شيوخ الوجود على التحقيق وقطب دائرة
الاكوان على اكمل تنسيق الحبر الدقيق والبحر العميق المسمى بالتوفيق
فشاوروه فى امر الشيخ الذى يناسب تعيينه لتعليم ذلك الطفل وتربيته
فقال لو لم يكن من وظائفى السير والسياحة فى الممالك الوجدانية
والتفقد فى احوال العباد واصلاح ما يطرا عليهم من الخلل والفساد
لباشرت تربية هذا الطفل النجيب بنفسى ولكن قد فوضنا هذا الامر
الى عهدة الاخ الشفيق والخل الشفوق عالم هذا الشان وفيلسوف العصر

والاوان

والاوان الشهير بالفضل المسمى بالعقل فعند ذلك قد صار تسليم النفس
اليه باتفاق اراء الجميع وكان يعلمه احسن تعليم ويربيه احسن تربية
وظهرت فيه اثار النجابة وبرع فى العلوم والمعارف الى ان بلغ من
العمر خمسة عشر سنة فكان النفس يوما من الايام جالسا فى مجلس
انسه مشغولا بمطالعة درسه اذ دخل عليه شاب من احسن الشباب
بهى المنظر لطيف الشمائل خفيف الحركة فسلم عليه وتمثل بين يديه
فقال له النفس من انت يا غلام وما شانك قال جئت انتسب
اليك واكون محسوبا عليك ومقيما عندك وملازما لخدمتك
قال ما اسمك قال اسمى شهوة فاستحسنه النفس وضم الشهوة
اليه فلما حضر استاده العقل وراى الشهوة عنده قال يا ولدى
ما لى ارى عندك هذا الغلام فانى اخشى عليك به من الملام قال
قد انتسب الينا لاجل القيام بخدمتنا وان كان خالع العذار عادم
العار عن الادب لكنه لين الجانب عذب المشرب يتلذذ الانسان برؤيته
ويانس بطلعته فقال العقل نعم ان الامر كما تقول يا ولدى لكن
ارى نتيجة صحبة هذا الغلام عليك وخيمة وعواقب امورك
معه غير سليمة فلم يؤثر فى النفس هذا الكلام من العقل
بل مال الى الشهوة بهمته واقبل عليه بكليته فلما راى العقل
ما راه من النفس من ميلانه الى الشهوة طبعا تحقق عنده عدم
امكان مفارقته منه وعلم انه ليس له اقتدار على دفع الشهوة عنه
فعزم على تربيته ايضا مع النفس فشرع فى تربيتهما معا فبينما هم
كذلك اذ الشهوة من طبعه جلب القلوب وتحريك النفوس

وتهييجها فسلب اختيار النفس وحرك ما كان ساكنا فيه ومع ذلك
لم يقنع الشهوة بما ابداه للنفس من الدواعي فضم اليه الشخص المفسد
القليل الحياء المسمى بالجهل الذي كان ولد مع النفس في يوم واحد
وتربيا في مهد واحد فاتحد الشهوة مع الجهل وحلا في النفس محل
الروح فتغلبا على العقل وصارا يغضبان عليه ويستهزءان به جدا
واما العقل فمن كونه انه مامور من طرف التوفيق بتربية النفس
فكان لا يفارقه طرفة عين ويقابل النفس بالمقابلة المحسنة
والمعاملة الجميلة ولم يرجع عن ناصحة النفس ولم يكف عن اسباب
تربيته كما كان ۝ ثم ان الشهوة والجهل ارادا ان يتقربا الى النفس
زيادة على ما هما عليه من التقرب واسقاط العقل من عين النفس
فصارا يعودان النفس انواع الذمائم والملاهي الى ان قالا له
يوما من الايام في معرض الكلام الى متى انت مغموم في هذه الخلوة
وممنوع عن لذائذ الدنيوية والحال ان في خارج البلدة محلات
معدة للانس والحظ واكتساب السرور وانشراح الخاطر وجلب
الفرح والحبور وصارا يذكران له ويعددان اوصاف المحلات المذكورة
وما فيها من الصفا والحظوظ النفسانية واطنبا له في هذا البحث
غاية الاطناب ۝ فلما سمع النفس من الشهوة والجهل
اوصاف تلك المحلات عرض ذلك على استاذه العقل وطلب
الرخصة منه في الخروج الى تلك المتنزهات ۝ فقال له العقل
يا ولدي ان تلك المحلات مشئومة لا تليق باسافل الناس والصغار
فضلا عن الذوات المعتبرين والاكابر الذين انت منهم وكيف لا
وانت منسوب الى مولانا التوفيق وقد صرت ببركته مظهرا

للتجليات

للتجليات المعنوية ومكتسبا للعلوم اللدنية فلا يليق بك
ان تخرج الى تلك المحلات المعدة لاراذل الناس واسافلهم
وعدد له ما فيها من الفضائح وما يتحصل بها من القبائح وانها
مانعة عن الترقي الى درجة الكمالات الانسانية واطال العقل
في المواعظ الحسنة والنصايح المؤثرة ۝ ولكن من كون ان
النفس قد اثرت فيه عذوبة كلام الشهوة والجهل ورسخت
في فكره فلم يؤثر فيه كلام العقل ولم يلتفت اليه بل اخذ معه
الشهوة والجهل وتوجهوا جميعا نحو المتنزهات المار ذكرها
فلما راى العقل ذلك قال في نفسه ما دام النفس وافق راى
الشهوة والجهل فلا شك في انهما يوقعانه في ورطة يتعسر
عليه الخلاص منها فالاولى اني اتبعه واكون معه حيث كان
فاستصحب معه من جماعته وحزبه الذوات الموسومين
بالعرض ۝ والناموس ۝ والحياء ۝ والادب ۝ والغيرة ۝
وتوجه خلفهم فلما راوا العقل تبعهم قال الشهوة والجهل
رد العقل عنا مع جماعته فانهم يكدروا علينا صفانا فلم يتجاسر
النفس على رد العقل تادبا وحياء منه بل توجهوا جميعا الى
ان وصلوا الى المتنزه المسمى بالتشويق فجلسوا بها وصاروا
يتفرجون على ما فيها فبينما هم كذلك اذ قال الشهوة والجهل
للنفس خفية ان في وسط هذا المتنزه قصر عجيب فيه من
السرور ما لا يوصف يقال له قصر الهوى تعال ندخل ونتنزه
فيه فقال النفس لا بد من مشاورة العقل في ذلك فلما استشاره

قال العقل هذا من خيانة الشهوة والجهل لانه ليس لهما مقصد
فى شئ يوافق رضائى فاياك ياولدى من موافقة هذين
الجيشين فى تسويلاتهما فلم يرجع النفس عما افيد اليه من طرف
الشهوة والجهل بل اخذهما معه ومشى نحو القصر فعند ذلك
تبعه العقل مع رفقائه المذكورين فلما وصلوا الى باب القصر
قال العقل ياولدى ان فى هذا القصر ما لا يليق بجنابك
فلا ينبغى لك الدخول اليه فلم يلتفت النفس الى كلامه
بل قال له اقعد انت ورفقاؤك ههنا فانا ادخل وانظر
ما فيه قائما بلا قعود ثم اعود اليك ثانيا بوجه السرعة فاخذ
الشهوة والجهل ودخل قصر الهوى فوجد فيه سلما فصعد منه
الى صفة متسعة فرأى فى جوانب الصفة حجرات مزينة فلاحت
منه التفاتة فرأى حجرة مفتوحة مكتوب على بابها هذه حجرة
العشق والغرام فابتدر بالدخول اليها فرأى فيها جارية حسناء
تصيد بحسنها العنقاء فى جو السماء يقال لها الحسن فلما نظر
اليها نظرة اعقبته الف حسرة فصار يتامل فى محاسنها
فرأى نفسه كانه يقابل مرآة صيقلة تنعكس وتنجذب
محاسنها فيه فضاع فكره وانسلب شعوره وارتعدت
فرائصه فبينما هو على تلك الحالة ينتظر منها التفاتة اذ نظرت
اليه واقبلت بعين القبول عليه وبادرت اليه بالقيام
وامرته بالجلوس مع اجراء مراسم التوقير والاحترام ثم من بعد
ان شكى كل منهما لصاحبه ما فى ضميره من الشوق والمحبة

قالت

فقالت له الحسن رويدك يا نفس الى ان اعود اليك وخرجت
(من الحجرة)
وذهبت الى حال سبيلها فجلس ينتظر قدومها اليه شاخصا ببصره
نحو الباب ودموعه تنحدر على خديه فبينما هو كذلك اذ دخل عليه
استاذه العقل فلما رأى عكس ما كان منتظرا اليه اشتد جنونه
وهاجت شجونه فقال مخاطبا للعقل يا من يريد ان يصيرنى
اسيرا مقيدا ويحرمنى لذائذ الجسمانية دائما مؤبدا انت الحسود
الذى لا يسود انت البلاء المبرم فى راس كل انسان فالى متى
انت دائى وبلائى اما قلت لك لا تدخل على ولا تقرب نحوى
٥ فلما تصدى للعقل بهذا الخطاب واذاقه مرارة العتاب
صار العقل يقابل النفس بالكلام اللين ويعامله بالرفق
واللطف فبعد ما ازال ما بالنفس من الحدة والغضب التفت
اليه وقال ٥ يا نفس انك اولو سلكت هذا المسلك
الردى ثم بعد ان كنت بالامس تقبل يدى صرت اليوم تظهر لى
اساءة الادب فوالله ان هذا لشئ عجيب وقد صرت فى بلادكم
كانى غريب لان فعلك هذا احوجنى الى مفارقتك والجلاء
الى ان اسوح فى البلاد فها انا قد عزمت على الرحيل فاودعتك
الله والسلام ٥ فعند ذلك راحت السكرة من راس النفس
وافاق من غشيته واظهر الندامة بين يدى استاذه وبادر الى
التوبة وطلب منه العفو واخبره بانه كان مغرما بحسن مليحة
بلا اختيار وانها سلبت فكره ومحت شعوره فما كان يملك
نفسه ولا يدرى ما كان يفعل وماذا يقول ٥ فلما سمع العقل

من النفس هذا الكلام قبل عذره وترك الملام ثم تاسف وتاخر
عن السفر وتوقف ٥ فبينما هم كذلك اذ اقبلت عليه الحسن وهي
مزينة باحسن زينة ولابسة الخز ملبوس فلما راها النفس لم يبق
له مجال الى مطاوعة العقل فتركه واقبل عليها بالجملة ومال اليها
بكليته فعند ذلك رفعت الحسن عن وجهها القناع وقالت يا نفس
فاجابها بقوله لبيك يا حبيبة قلبي ونور عيني وبادر اليها بالقيام
واسرع بالمثول بين يديها ثم ابدى ما كان به من الوحشة والشوق
وطلب منها الوصال على سبيل الاستعجال ٥ فلما راى العقل
من النفس ما راه اوجب الحال الى عدم مفارقته خوفا عليه من ان
يقع في امر غير مشروع ٥ واما النفس فقد خلع العذار وترك
شروط الادب التي كان يتادب بها عند العقل وكان ليس له مقصد
سوى الوصال فقال للعقل ليس لي بك حاجة من بعد اليوم ثم مال
الى الحسن بالتقبيل والعناق واراد ان يبدي ما في ضميره ٥ ٥ ٥
فلما راى العقل هذا الحال من النفس تفطن بانه ليس له قدرة على
منع النفس من هذا الامر الفظيع لا سيما وان الشهوة والجهل من اكبر
المساعدين له في هذا الخصوص فما وسعه الا ان يستعين على منعه
برفقائه الذين كانوا قد تاخروا عنه خارج القصر وهم الوهم
والناموس ٥ والحياء ٥ والادب ٥ والغيره ٥ فدعاهم اليه فلما
دخلوا عليه تساعدوا جميعا على النفس وهجموا عليه وقيدوه
واخرجوه من القصر ووصلوا به الى مقامه الاصلي فلما استقر به
الجلوس تفكر فيما صنع وعلم انه اخطا خطا كبيرا ولكن لم يجد ذلك

لان الشهوة لم يرجع عن شيطنته والجهل كذلك مصر على خباثته
لا سيما ومحبوبته الحسن التي هو اسير هواها وقتيل معناها كلما هو
خطرت في باله احرقت نيران محبتها صماصيم فواده واخربت
عواصف حسرتها منازل صبره ومساكن اختياره فبناء على ذلك
لم يسع العقل الا قبول عذر النفس والتزام امر علاجه من هذه
الورطه لان النفس ما وقع في هذا الشرك الا كونه اسيرا في
قبضتي الشهوة والجهل وانه ما دام على هذه الحاله لا يفيد فيه
الكلام ولا يؤثر فيه الملام وعلم بانه لا نجاة للنفس من هذه
البلية الا بطرد الشهوة والجهل وابعادهما عنه ثم تفكر في امرهم
الشهوة فتيقن بانه لا يحتمل انفكاكه ولا سبيل لطرده عنه حيث
قد حل في النفس حلول الروح في البدن وعلم بانه جميع الحركات
التي تصدر من الشهوة هي بافساد الجهل والقائه وبانه اذا
ازيل الجهل عن الشهوة فلا يبقى له عزم على ترك الادب في الجملة
ويحتمل ان يقبل التربية مع النفس ايضا فصار يتصور طريق
ازالة الجهل الرذيل المضر الذي هو منشا الفتن والخبائة فجزم
على ايراد والتزام انواع المقدمات والقضايا والقياسات
والنتايج لاجل اقناع النفس وتصديق ما سيبديه اليه فاجلسه
فاجلسه بين يديه وقال مخاطبا له ٥ ٥ يا نفس يا مجنون
اما تعلم باني قد بذلت جهدي في تربيتك طمعا في انك
تبلغ درجة السياده وتكون مرجعا لاهل العز والسعادة والحال
اني ما رايت منك الا احوالا توجب التقبيح والترذيل ولا

ولا شاهدت فيك الا اطوارا تستوجب الضحك والمسخرة
للناس وهل تدرى يا نفس ما صنعت فانك قد سلمت قيادك
الى ذلك المفسدين الشهوة والجهل وسلكت الطرق التى دلاك
عليها وصرت كالمجنون الذى لا يدرى يمينه عن شماله ولا يميز الخير
عن الشر واما انا فكنت اظن انك كامل الادراك مالك الحواس
فبناء على ذلك قد افنيت فيك عزيز عمرى مؤملا انى ارشدك
الى طرق اكتساب الانسانية وتهذيب الاخلاق والحال انك
لم تزل فى تحصيل الرذائل والسعى فيما يضرك ويرديك ∘ ∘ فلما
سمع النفس من العقل هذا الخطاب المتضمن التوبيخ والعتاب
اطرق راسه وصار باهتا كانه كان نائما وهو فى حلاوة النوم
وقد ايقظوه قبل ان يستوفى نومه فجلس يمسح عينيه بيديه
ويتثاوب وينظر يمينا وشمالا ويتلكم فى الكلام ∘ ∘ فلما راى
العقل ان النفس قد افاق من غشيته واستيقظ من غفلته
اراد ان يبين له مخاطرة هذا المسلك ووخامة هذا السلوك
فاورد لهم المقالات الاتية فى معرض النصيحة بالتفصيل وقال

∘ ∘ ∘ فى ذم الجهل ومدح العلم ∘ ∘ ∘

يا نفس ان الذى ساقك الى الطريق الذى سلكته اولا الجهل
وثانيا الشهوة وان اغلب الفتن التى تقع على وجه الارض
والفساد الذى يحدث فيها من الجهل فلو زال الجهل عنك فلا يبقى
للشهوة عزم على ان يسوقك الى ما لا خير فيه اذ ليس من
مخلوقات ربنا ادنى وارذل من الجهل ووخامة الجهل اكثر من

وخامة

وخامة كل ردئ ولكون ان الكفر الجهلى اشد اقسام الكفر المتعددة
فالكفر الذى ينسب الى الجهل اعظم من الاقسام السائرة لان
الكفر الذى يسوقه الجهل للانسان يخلد صاحبه فى العذاب الاليم
ومن مضرات الجهل انه يوصل الانسان الى الكفر الذى يوجب تخليده
فى العذاب الدائم ∘ ∘ يا نفس ان خميرة السعادة التى تعطى
الامتياز للانسان هو العلم فكل شخص كان مؤتلفا مع الجهل
فانه محروم من هذا الامتياز فيقال فيه ما يقال لامثاله اولئك
كالانعام بل هم اضل ∘ ومن كان الجهل قرينه فقد غفل عن سماع الكلام
المقرون بالحق ولم يزل على ذلك الحال الى ان يسلك به طريق
الضلال ولا يدرى اى طريق سلك ولا يميز مسلك الانسانية
واذا ذهب الى اى طريق كان فانه يضل فيه ∘ ومن ائتلف الجهل
لا يفهم معنى الكلام الذى يخرج من فيه ∘ والجاهل وان كان حسن
الصورة بهى المنظر لطيف الشمائل لكن اذا فتح فاه وتصدى للكلام
كان كمن قيل فيه الجاهل كالخنفسا ∘ اذا حركته فسا ∘ فيا نفس
من حيث انك مؤتلف مع الجهل فاراك موصوفا بهذه الاوصاف
فلا تصغى الى الكلام الذى فيه الخير والصلاح واذا جرى عندك
كلام حق تدمع عيناك وينعقد لسانك ∘ واذا تكرر كلام الحق
عندك يضيق صدرك منه فتبادر الى القيام من المجلس فمالى لا
اراك اهلا للانسانية اما تترك هذه الرذالات حتى تصير
انسانا يا حيوان فلما سمع النفس هذه المقالات الزاجرة من العقل
راى شخصه كانه قد احاط به ريح عاصف كاد ان يجعل البنايات
عاليها سافلها او كانه استيقظ من نوم لم يأخذ حظه منه وكانه

فی صحراء واسعة الاطراف یقال لها صحراء الخطا قد امتلات بقطاع
الطریق الموسومین بالذنوب ففتح عینیه وصار ینظر یمینا وشمالا
وتحقق انه غاوی الطریق فرمی نفسه علی العقل وصار یقبل یدیه
ویصغی الیه باذنیه ۰ ۰ فعند ذلك شرع العقل فی الکلام
فی معرض النصح والملام فقال ۰ ۰ یا نفس من یاتلف مع الجهل
فهو جاهل والذی خلص نفسه من شرك الجهل فهو غانم ولکون
ان العلم افضل الامور فصار الطلب افضل التعلم ۰ والافادة
افضل التعلیم والذی یملك الافضل فهو عالم ولذلك یطلق علی
العالم بالفاضل فکل من کان محجورا عن الامور والاحوال التی هی
منشاء السعادة والعز والرفعة فی الدنیا والاخرة فسبب حرمانه
الجهل ۰ وصورة مطرودیة الجهل بغیر العلم لا تحصل واعظم الشرف
الذی یطلبه الانسان فی امر دینه ودنیاه لا یحصل الا بالعلم
والذی یسعی ویجتهد بازالة الجهل عنه وینتسب الی العلم
فجمیع مقاصده التی یمکن حصولها فی الدنیا فلا شك فی وصوله
الیها بانتسابه الی العلم فاذا کانت امور الدنیا غیر منتظمة
فکذلك امور الاخرة لا تقبل الانتظام ومن کون ان الدنیا هی
مزرعة الاخرة فمن لم یزرع هنا لم یحصد هناك فالرعایة
لنظامات الدنیا من الامور المهمة ولا یمکن حصولها الا بالعلم
یا نفس ان الانسان عبارة عن جسم وروح ولکل واحد منهما
لذاید مخصوصة فلذاید الجسم هی الاکل والشرب والتقبیل
والجماع التی هی سریعة الزوال ویشترك فیها سائر الحیوانات

فعلی هذا فلذاید الجسمانیة لا تمیز الانسان عن سائر الحیوان واما
اللذاید المختصة بالروح فلا تاثیر لها الا بالعلم فاذا لا اشتراك للحیوان
مع الانسان فی اللذات العلمیة اصلا ۰ فالانسان یتلقی العلوم
الشریفة التی تتلذذ الروح بها بواسطة الحواس فکلما ازداد تلقیه
ازدادت الروح تلذذا واخذت بالترقی الی ذروة الکمال ۰ ۰ ۰
وقبل حصول العلم للانسان یظن انه ما خلق الا لاجل الاکل والشرب
ولاجل ان یتلفظ بما شاء ویبول ویتغوط متی شاء وحیث شاء
ویحمل جسمه العاری عن المعارف والکمالات کما یحمل المیت
واما بعد اکتساب العلوم الشریفة وانتسابه الیها یتحقق انه ما
خلق لیشترك بالبهایم ویعلم انه قد اکتسب شان الانسانیة
یا نفس لیس للانسان راس مال یفتخر به فی الدنیا والاخرة الا العلم
فاذا کان الانسان عاریا عن العلم فلیست فیه فضیلة توجب افتخاره
بها فالجاهل فی الحقیقة یتکلم واذا کلمه احد یفهم ولکن معرفته
وفهمه محصورة فیما ینتفع به من الحظوظ النفسانیة فقط فهو
کالبهیمة واما معرفة احوال الدنیا وکیفیات الانسان والحیوانات
واسباب مجیئ الانسان الی الدنیا وحصول امتزاجه مع ابناء
جنسه ومعرفة الاشیاء التی تدل علی اثبات العظمة الالهیة
وجلالة کبریاء الرب جل وعلا وکذلك معرفة الحقوق التی له علی
الخلق والحقوق التی للخلق علیه وطریق معاملاتهم ومعرفة تهذیب
الاخلاق الانسانیة واصلاحها وطریق تحصیل السعادة الدنیویة
ونجاة الاخرویة ومعرفة کیفیة الاطاعة والانقیاد الی الدولة التی

هو متبوعه مع حكومتها ومعرفة ما يتاتى على الانسان من عدم
الاطاعة والانقياد اليها ومعرفة درجة مشروعية تلك الاطاعة
فكل ذلك لا يعرفه الجاهلون بل يعرفه العالمون وكذلك الجاهلون
لا يعرفون المراد من ايجاد هذه المخلوقات ويتعجبون ممن يجتهد
فى طلب العلوم واستحصال المعارف والكمالات ويظنون انهم
يتعبون انفسهم ويخدشون اذهانهم فيما ليس فيه منفعة ولا
فائدة وذلك لجهلهم لما فيها من المزايا والفضائل لان المرء كما قالوا
عدو لما جهل فالجاهل لا يعرف قدر العلم ولا يسعى فى تحصيله ٥
بانفس كما ان العلم يهتم به فى كل الامور كذلك يهتم فى امر الحكومة
وما يتعلق بها فهذه ليست من خصائص العوام بل يقام فى كل
بلدة او جمعية شخصا متاهلا لها لاجل تامين تلك البلدة
او الجمعية واستحصال راحتها فكل شخص من اهالى تلك البلدة
او من افراد تلك الجمعية حاد عن طريق الحق والصواب او مال الى
الغرض والنفسانية او عدل عن الانصاف والحقانية فبواسطة
الحكومة الجليلة يصير الاهتمام فى شانه اما باصلاح احواله
او بقهره واضمحلاله فاذاً كل فرد من افراد الرعية مامور شرعا
باتباع تلك الواسطة الجليلة بمقتضى الاحكام القرآنية والاوامر
النبوية حتى لو صدر الامر او النهى من اولى الامر على الرعية بفعل
امر مباح من حيث الشرع او تركه فيصير فعل ذلك المباح او تركه
واجبا على كافة الرعية ٥ فكل شخص اقيم بوظائف الحكومة
فقد صارت رعيته وديعةً مسلّمةً فى عهدته فيجب عليه محافظة

ارواحهم واعراضهم واموالهم فان كان ذلك الشخص ممن فيه
الدراية والمعلومية فى دقايق الامور السياسية وادارة امور
الملكية وممن له الوقوف التام على حقوق العباد ويلتزم امر
محافظتها غاية الالتزام فينتظم به احوال العباد على احسن نظام
وتجرى الامور والاحكام على محورها طبق المطلوب والمرام
واما اذا كان المامور جاهلا عن دقايق ادارة الملكيه وغافلا
عن الامور السياسية فلم تزل عمران البلاد تاخذ بالخراب
واحوال العباد بالفساد لان صاحب هذه العلوم اذا تولى
امر الحكومة فانه يدرى بان الحكومة هى مركز ادارة الامور السياسية
فيعلم حينئذ ما للحكومة على الرعية وما للرعية على الحكومة من حقوق
وما يحتاج اليه من التدابير المقتضية لاجل محافظة تلك الحقوق
ويعلم ايضا هل له او لاحد من تعلقاته على شخص من خلق الله
او على جمعية من الاقوام الموجودة من تكليفات شرعية فى ضمن منفعة
ذاتية سواء كانت تلك المنفعة قليلة او كثيرة ويلاحظ ايضا
الامور المتعلقة بالمعاملات التى تجرى بين ابناء ملته ووطنه
وبين سائر الاجانب المختلطين معهم فعلى هذا فالحاكم العالم
يزن فى جميع الاوقات هذه المسائل الدقيقة والمواد العميقة
بميزان الشرع الشريف وقسطاس القانون المنيف ولا يتكل
فيها على فكره القاصر وذهنه المتقاصر ويحترز كل الاحتراز
عن اجراء شئ من المواد المتعلقة بالعباد بمقتضى ديانته وامانته
فالحاكم العالم بهذه العلوم النافعة اذا كان من اهل الانصاف

ايضا وكانت عملياته كذلك مطابقة لتلك العلوم فيضحى كل من
كان تحت ادارته وحكمه امنا على نفسه وماله وجميع الاحكام
والقضايا التي تجرى على يديه تكون مستندة على القواعد الموضوعة
العادلة وجميع افكاره التي تنصرف في تلك القضايا والاحكام مقيدة
بالحقانية فيدوم عند ذلك نظام الادارة على احسن دوام ويسلم
من الخلل والاعتراض بلا انفصام ... واما اذا كان الحاكم الذى
فوض اليه امور الحكومة المعتنا بها عاريا عن هذه العلوم فلا يدرى
بانه مامور ومكلف بتطبيق جميع اشغاله الى القواعد والقوانين الجارى
عليها العمل بل يعطيه جهله وعدم درايته بان تلك القواعد
والقوانين ما وضعت الا لاجل تسلية العيون فقط وينظر
الى سائر المامورين الذين يجرون على العمل بموجب تلك القواعد
والقوانين بعين الخصومة ويظن ان اساس المامورية بحيث
اذا تكلم هو بشئ سواء كان موافقا للاصول او غير موافق فيصدقه
من كان عنده من المامورين الذين بجعيته بقولهم نعم والامر لحضرة افندينا
فيغتر في نفسه ويتقوى ذلك الظن في فكره فبذلك تاخذ سيئات
الادارة وخطيئات الحكومة كل يوم بازدياد ولا سيما ان كان
بعض المامورين الذين دونه متصفين بقلة الانصاف فيعدون
جهل رئيسهم غنيمة فيبادرون اليها ويستفيدون منها فمنه
ذلك يتعدد المرجع على الاهالى وعموم التبعة وتنفلت الامور
والمصالح وتلتهب سوء الاستعمالات كما تلتهب النار ثم تحيط
بدوائر الادارة وتاخذ النفوس بالاحتراق والدور والبيوت

بالانهدام

بالانهدام وتبدو حينئذ امور يشكل اصلاحها بحيث يضيع الفرق
وتميز النسبة والحقوق الشرعية والقانونية التي بين الحاكم والمحكوم
ويؤول الملك الى الخراب ويتشتت شمل الاهالى ويعتريهم
الخلل والاضطراب ومن حيث ان الامور التي ذكرناها لا شك
في وقوعها عند تفويض امر الحكومة الجليلة الى عهدة من ليس
اهلها ولا تنكر فضائل من كان موصوفا بالعدل والفضل والمحاسن
التي تبدو على يديه اذا فوضت امر الحكومة اليه ....
وكذلك طائفة علماء الشريعة فانهم مامورين شرعا بايقاظ الخلق
من الغفلة وتفهيمهم الخير والشر وتعليمهم احكام الشريعة المطهرة
فالذى يملك نفسه من هذه الطائفة الجليلة ويمنعها عن ارتكاب القبايح
والاغراض النفسانية والمنافع الدنيوية فمواعظه ونصائحه هو
وتهديداته وجميع تبليغاته تكون مؤثرة في القلوب وان الملوك
والوزراء تفتخر به وباتباع ما يصدر من لسانه من المواعظ
الحسنة فضلا عن احاد الناس وان الخواص والعوام يقتدون
به ويسعون بتطبيق احوالهم الى اعماله الناجية فعلم من هذا
ان العلوم الشريفة وان كانت تعلم الانسان طريق تهذيب
الاخلاق لكن من المعلوم ان الحبوب اذا زرعت في الارض المنبتة
فانها تنبت اضعاف ما زرع بها واما اذا كانت مالحة او كانت
عبارة عن احجار ليس فيها تراب فلا ينتج منها شئ وكذلك
اذا كان الانسان قد استكمل جميع العلوم والمعارف ولكن ليس
خميرة الاستعداد لقبول تلك العلوم فما الفائدة له او لغيره

من تلك العلوم فاذا كان العالم من اصحاب هذه الجبلة فهل يمكن
ان تصلحه تلك العلوم وهل امكن لابليس مقتضى جبلته
وخبث طويته ان يصرف علومه الا فى ابواب الشر والاضرار
للناس فاذا كان العالم ياخذ الرشوة ويظلم الناس ويستغيبهم
ويشرب الخمر وياكل اموال الناس بالباطل مع علمه بان ذلك
كله حرام ثم يرتكبها فالعلم باى جارحة يمنعه عنها فالعالم الذى
يكون من هذا القبيل بحيث يقرا العلوم ويكتسب المعارف ويتبحر
فيها ثم يتخذها وسيلة لجر المنفعة ويجعلها واسطة للاضرار
والمكايد وينصب المسائل الشرعية شركاً للتزوير فهل لكلام
هذا العالم من تاثير ام هل لمواعظه فرق من الاصوات المهملة
فالعالم الذى هذه صفته اذا صعد على المنبر او على الكرسى وقال
يا ايها الناس اتقوا الله وتادبوا من رسول الله يا ايها الظلمة
كيف تاكلون الحرام وما اشبه ذلك وصار يبعبع ويصيح
والحال ان الناس يعلمون انه كمحللين بومباى ياكلون ما لا حصر
لهم من الحرام فهل لوعظه من تاثير . بل ربما الجاهل الذى ليس له
حظ من العلم يقول فى نفسه لو لم يكن ساغ لترك الصلوة لما
تركها العالم الفلانى وكذلك فلان مع علمه وجلالة قدره ياكل
اموال الناس بالباطل وانا ما ذنبى حتى لا آكل والعالم الفلانى
كذلك لو لم يجد فى الكتاب رخصة لما شرب الخمر وهكذا الى ان
تفسد اذهان العامة بمثل هذا العالم ويرتكبون سوء الاعمال
ويكون هو السبب المستقل لذلك فلا يظن هذا العالم ان الناس

لا يفهمون

لا يفهمون شيئا ولا يطلعون على دسائسه ولا يشك فى نفسه
بانه لا بد من حلول غضب الله عليه فيما بعد . فحيث ان الامر
كذلك فالتصدر فى صدور المجالس والتزيى بزى العلماء هما
لا يزيدان فى شان العلم وشرفه بل الذى يزيد فى شانه وشرفه
هو العمل به فقط . وكذلك ليعلم ذلك العالم ان التكبر واكل
الحرام صفتان مذمومتان ممنوع عنهما شرعا فاذا ارتكبهما هو
حال كونه متبحرا فى العلم ولم يبال بهما واكل كل ما لاح من الحرام
كما قيل . لا يشرب القهوة من فضة . ويشرب الفضة ان نالها
وسمى اسم التكبر رعاية وشرفا لقدر العلم فهل يقال لهذا
الشخص عالم وهل يلزم على الناس ان يعظموه ويبجلوه
فنحيل امره الى نظر تمييز صلحاء العلماء الكرام وانصافهم .
فالعالم اذا اتصف بالصفات المتمايزة المشروعة واتقى الاحوال
التى ليست مشروعة وانصرف عنها فيصير كلامه وانفاسه للروح
غذاء وللجسم العليل شفاء وتؤثر فى القلوب تاثير الحياة فى الابدان
ويكون ذلك العالم واسطةً مؤثرة فى اصلاح الدين والدنيا
ويستوجب فى الدنيا التعظيمات التى لا تحصى . وينال فى الآخرة
من الالطاف الالهية التى لا تستقصى . فاذا كان الامر كذلك
فالرواية المشهورة المضبوطة عن السلف الصالح وهى
استخفاف العلماء كفر تحمل على هذا الصنف الجليل من العلماء
والا ليست فى شان من يقرأ العلوم ويتبحر فى المعقول والمنقول
والمفهوم ثم يرتكب ما لا يرتكبه الجاهل العامى ومع ذلك

ومع ذلك يدعى على الخلق التعظيم والرعاية لشانه واذا قصروا فى
حقه من التعظيم فيفتح فاه ويطيل لسانه عليهم ويصير يتكلم
فى المجالس والمحافل ويقول كيف اكون من العلماء ويستخفون
بى ويستقلون قدرى فهل احد يسمع كلام هذا العالم بل
صياحه والله وصوت الطبل على حد سواء واذا قدرنا حيوان
يحمل اسفارا فهل يجب تعظيم ذلك الحيوان وتقبيل يده ٥
ثم قال العقل يا نفس ليس القصد من بيان هذه التفصيلات
اليك الا لتعلم هذه الرذالة التى فى الجهل ومقدار شرف العلم
ومرادى ان تكون منتسباً للعلم وطاردا لهذا الجهل عنك
فماذا تقول ٥ ٥ فعند ذلك تفكر النفس فى مضرة الجهل
وتحقق شرف العلم وفضله وقدره واثرت تلك التفصيلات
فى تخيلاته فسلم قياده الى استاذه العقل وانتسب الى العلم
الشريف كما كان ٥ فصار العقل ممنونا من انقياد النفس اليه
ومواظبته للعلم وطرده للجهل المفرغنه ٥ والنفس كذلك
صار يتفوق فى تحصيل العلوم واكتساب الكمالات الانسانية
وظهرت عليه اثار الملكية ٥ فبينما هو كذلك اذ دخل عليه
شخصان خبيثان مشئومان يقال لاحدهما الحسد وللثانى
العداوة وصارا يتملقان للنفس ويتبصبصان بين يديه
ويخدعانه واخبراه بانهما يريدان ان ينتسبا اليه ويصيرا
محسوبان عليه فلم يسع النفس الا ان تلقاهما بالقبول
لخدمته من غير مشاورة العقل ٥ فلما راى العقل ذلك الخبيثين

قائمين بخدمة النفس ٥ قال يا نفس هل تعرف هذين الشخصين
من هما قال النفس لا ادرى عن اصلهما وفرعهما ولكن قد انتسبا
الى لاجل القيام بخدمتى ٥ فعند ذلك صار العقل يشرح له ما فى
الحسد والعداوة من المضرة واطال الكلام فى هذا الباب ولكن
لم يجد تاثيراً لكلامه عند النفس فصار العقل يتفكر فى امرهما
وانما الحسد والعداوة فبمقتضى جبلتهما صارا يفكران فى امرهم
الشخص النجيب المسمى بالادب الذى هو من اصدقاء النفس
من القديم حيث انه دائما يشوق النفس الى الانزواء اى
الانقطاع عن الناس والاشتغال باكتساب العلوم والمعارف
فقال احدهما للاخر ما دام هذا الادب ملازما للنفس مع
صاحبيه الحقيقى وهما الشباب والحياء اللذان من اقارب
العمر العزيز فليس لنا وصول الى النفس والحلول فيه الا بصرف
الشباب والحياء عنه فتشاورا فى امرهما مع صاحبهما الغلام
المقدام الموافق لكل مرام المسمى بالمدام وحيث ان هذا المدام
هو فى النظر محبوب وجالب للقلوب وفى الباطن معيوب
بكل العيوب يعنى انه مثل الحية التى ظاهرها منقوش بانواع
النقوش وباطنها مملوء من السم الهلاهل والهلاك العاجل
فتعهد للحسد والعداوة بابعاد الشباب والحياء عن النفس
وشرط عليهما ان يجمعاه مرة مع النفس حتى ياخذ باسباب ذلك
فعند ذلك بادر الحسد والعداوة الى المدام والبساه افخر
الملابس وزيناه باحسن الزينة وسمياه سفرة فيهما من

انواع الفواكه والنقليات ومن الوان المشروبات وادخلوه على
النفس فلما راه النفس اعجبه شكله وشمائله فتهلل وجهه فرحا به
وتبسم في وجهه واقبل عليه بالبشاشة ثم التفت الى الحسد
والعداوة وقال لمن هذا المحبوب الخامر للعقول والجالب للقلوب
فعند ذلك وجد الشهوة فرصة للكلام لانه كان حاضرا هناك
ولكن كان مهجورا من مدة مديدة على ما راى من الزجر والتحقير
من جانب العقل فشرع يثني على المدام وبالغ في مدحه فحصل
للحسد والعداوة من السرور ما لا مزيد عليه لانهما وجدا مساعدا لهما
على ما في ضميرهما من الخبث والفساد فبادرا الى الجواب للنفس
وقالا له ان هذا الغلام اسمه المدام وهو من اقارب عبيدك
الواقفين بين يديك وهو غلام نجيب من الطف الحبايب
وقد اتى الى جنابك بهدية بهية ثم اشار الى المدام بوضع السفرة
التي اتى بها اليه فوضعها بين يدي النفس فمن كون ان النفس
يميل طبعا الى الجمال حيث كان ويتولع في حسن من يراه من الغلمان
ووجوه الحسان وهو خالع العذار لا يعرف العار وكذلك المدام
كونه من المردان العلوق ومن اصحاب الخلاعة والدلاعة فلما راى
النفس منه ما راه من الحركات والغنج والخلاعات غاب عن الوجود
وضيع شعوره المفقود من شدة ما اثر فيه من حسن المدام وجمال البهي
وابتدر يتناول من المشروبات المذكورة قدحا بعد قدح الى ان
مال به السكر والمجون وبلغ حد الجنون وصار يدندن ويدمدم
ويهدر ويفجر ويقول مومياً للساقي والحادي قول الشاعر

ادرها

ادرها بالصغير وبالكبير ◦ وخذها من يد القمر المنير ◦ ههه
ولا تشرب بلا طرب فاني ◦ رايت الخيل تشرب بالصفير
هذا ما كان من امر النفس وندمائه المدام والشهوة والحسد والعداوة
واما ما كان من امر الشباب فهو وان كان من اهل الجسارة والاقدام
لكن ليس لبقائه من دوام ومحتاج الى وصي وهو وان كان
في الحقيقة غلام رشيق القوام حلو الابتسام محبوب الانام لكن
اذا راى محبوبا مثله يهيم في حسنه البسام ويستغرق في بحر العشق
والغرام وكان الادب والحياء يتاسفان دائما على النفس ويكثران
عليه الملام ويجادلون من اجله الحسد والعداوة والشهوة والمدام
والشباب وقد طال بينهم النزاع وكثر القال والقيل ولكن لم يفد
ذلك لان الحسد والعداوة والمدام والشهوة اولا متعصبين
وليسوا من اهل الادب والحياء وثانيا انهم اعداء اقوياء لهم
القهر والغلبة على الادب والحياء لكونهما رجلين عزيزين ليس
لهما اختلاط بالناس فخرجا من المجلس مغلوبين مقهورين
وتوجها الى العقل واخبراه باتفاق الشباب مع النفس وكذلك
الحسد والعداوة وانهم منهمكين في اللذات ومرتكبين اسوء
الحالات وانهم اخرجوا النفس عن طريق السداد وافسدوه غاية
الافساد ◦ فلما سمع العقل من الادب والحياء هذا الخبر السيء
تحركت فيه الفتوة الغريزية وقام يمشي مسرعا نحو المجلس الذي
فيه النفس وندماؤه ودخل عليهم وهم على حالة عجيبة لا سيما
النفس وهو في غاية من الكيف بحيث لا يميز الشتا من الصيف

يتكلم بلا معنى ويرقص بلا معنى فلما راى العقل دخل عليه وصحبته
الادب قال اقعد يا عقل اقعد تعالى الى جنبى هنا هنا انت لا ترانى
سكرانا وتقول يا حيف يا حيف لان الوقت هو هذا الوقت
والساعة هى هذه الساعة والكيف هو هذا الكيف يا عقل هل يطاق
الصبر عن تورّد خده وهذا الساقى المليح الرشيق ام هل يلام
شارب خمرة ريقه التى تحكى السلسبيل والرحيق ° شعر
لا تحفلنّ بقول اللائم اللاحى ° واشرب على الورد من مشمولة الراح °
فصار يسوق للعقل من العبارات المتعلقة بالخمريات ويشيع
الاساآت والرذالات التى لا مزيد عليها ° ثم التفت الى الادب
وقال اخرج يا ادب اخرج لا تقف قدامى فانه ما بقى لى بك حاجة
من بعد الان وصار يتفوّه عليه بانواع التفوهات ويلوح
عليه اثار الغضب والترهات ويبدو منه نشوة السكر وعجايب
الحالات ° وقال ايضا يخاطب نفسه بقوله يا نفس ابشرى
بانك اليوم فى حالة لا توجد احسن منها وانك الان فى لذة لا
تحظى بشئ الذ منها ثم يميل شوقا وطربا ويتيه عُجْباً وعَجَباً
وكذلك الساقى المليح والوجه الصبيح كلما قال له يا سيدى
هل لك فى كاس ممزوج بالانس والسرور يقول له نعم نعم هات
هات ناولنى اياها والحاضرين فى المجلس يضحكون عليه وهم
ويستهزؤن به ° فلما راه العقل على تلك الحالة صار باهتاً
فى وجه النفس وعاضا على ابهامه من التعجب وقال وا اسفاه
وا اسفاه وا اسفاه ثم تفكر وقال ما الفائدة من التاسف

عليه

13

عليه وهو على هذه الحالة وما ثمرة الكلام والتوبيخ لديه وهو فى
اسوء الرذالة لان الخمرة قد خامرت ام راسه والسكرة قد اخذت
بعقول جلاسه ولربما اذا خاطبتهم وهم على هذا الحال يضحكون
علىّ ويستهزؤن بى فلم يسعه الا السكوت والاسف على عمره هو
الذى ضيعه فيه وصار فى اشد القلق من ذلك حتى فسد مزاجه
وزالت عافيته وتوالت عليه الآلام والاسقام ومرض مرضا شديدا
ولزم الفراش هذا ما كان من امر العقل واما ما كان من امر النفس
فان العداوة والحسد وان كانا قد ملكا زمام النفس وادخلاه تحت
طوعهما بواسطة المدام وضم الشباب كذلك اليهم وافسدوه وصار
يطوف معهم فى ازقة الفضايح وشوارع القبايح ولكن من حيث
ان الادب والحياء لم يزالا ملازمين الشباب والشباب كذلك
كونه يميل اليهما طبعا وهو فى غاية القوة والجسارة فصار الحسد
والعداوة فى خوف وقلق من ان الشباب لربما يتفق مع الادب
والحياء ويضمون حينئذ النفس اليهما ويسعون بابعادهما عن
النفس فيتشتت عند ذلك شمل المجلس الذى عقدوه مع النفس
ويضيع جميع ما دبروه فى شانه فتذاكرا فى اسباب اعدام الشباب
وقرادهم بينهما على ذلك فصارا يترصدان وقتا يكون فيه الشباب
غائبا عن مجلس النفس ويكون النفس ايضا غايب الشعور
والادراك لاجل اخذ الرخصة منه باعدام الشباب فوجدا يوما
من الايام وقتا موافقا ودخلا على النفس وهو فى خلوته مع
الغلام المسمى بالمدام وكلماه بما فى ضميرهما من جهة الشباب

وكان النفس اذ ذاك مختل الشعور وغايب الفكر والحضور من شدة
السكر قال قد اصبتما فيما قلتما فان الحياء يحرمني دائما لذة الحبيب
والشباب كذلك يترقبني عند مواصلة محبوبي المدام وهو اعظم رقيب
فاروم منكما ان تزيلا وجودهما من الدنيا وتريحاني منهما فلما
استحصل الحسد والعداوة الرخصة من النفس في اعدام الشباب وهو
لا يشعر خرجا مسرعين من عنده ودخلا على المدام واخبراه بما استحصلا
من الرخصة من جانب النفس في قتل الشباب وقالا له هذا الامر لا يتم
الا بواسطتك وهمتك واحالا القضية الى عهدة المدام ○○○

○○○○○○ في بيان موت الشباب ○○○○○○○

فحيث ان المدام قد استصوب ما دبراه الحسد والعداوة وقبل
التماسهما في ان يكون هو الواسطة في اهلاك الشباب ومحو اثره
من الوجود فدخل عليه واظهر له المحبة والوداد فلما راى الشباب
الاقبال التام من المدام والموافقة في حصول المرام طمع فيه وصار هو
يتمنى منه الوصال فقال له المدام حسبما اتفق مع الحسد والعداوة
ابشر بما تروم مني وها انا بين يديك ولكن لا بد لنا من مكان
يكون خاليا من الاغيار نخلو انا وانت فيه فعند ذلك هيئوا المحل
يليق بهما فتوجه الحسد والعداوة الى ذلك المحل قبل وصول الشباب
والمدام اليه واختفيا فيه بحيث لا يراهما الشباب فلما وصل المدام
مع الشباب الى ذلك المحل جلسا يتحدثان فابتدر الشباب الى المدام
ومد يده اليه واراد ان يتمتع بوصاله حسب الوعد السابق من المدام
فبينما هما على ذلك الحال اذ خرج عليهما الحسد والعداوة وهجما على

الشباب وامسكاه من طوقه وقالا له اما تعلم بان هذا الغلام المسمى
بالمدام هو من اقاربنا ومتعلقاتنا اتريد ان تهتك عرضنا به يا فاعل
يا صانع فضربا به الارض ثم بعد اجراء انواع التحقيرات فيه قطعا هو
راسه بسيف الغدر ودفناه في التراب ثم بعد ذلك توجهوا جميعا
الى النفس الغافل المغفل ووقفوا بين يديه فالنفس حينئذ كان
قد افاق من غشيته وزالت السكرة من راسه واحس بفقده هو
الشباب ولم يدر عن خطائه باعطاء الرخصة في قتله وصار يلتفت
يمينا وشمالا ولم يره فسئل الحاضرين عنه فبادر الحسد والعداوة
الى الجواب وقالا الم تعلم بان الشباب الخائن هو متفق مع الادب
والحياء قال نعم اعلم ذلك ولكن ما مرادكما من هذا الكلام قالا
حيث ان الادب والحياء اعتمدا على الشباب واستندا به فصارا
يمنعان جنابكم من اللذائذ والحظوظ النفسانية فاليوم قد قتلنا
الشباب حسبما صدر امركم بذلك في الليلة الماضية كي تكونوا انتم
مشغولين باللذات في جميع الاوقات والحالات من غير مانع
ولا مزاحم ○ فلما سمع النفس منهما هذا الكلام ظن انهما يمزحان
معه فقال ما معنى الليلة الماضية وما معنى الامر الذي صدر مني
فقالا له في معرض التاكيد دع عنك الهزل فان الامر كما حصل
فقال اذا ارياني قبره ثم افتحاه حتى ارى جسده فقالا له هلم
الينا وانظر فذهب مع الحسد والعداوة نحو قبر الشباب ولما فتش
وجد في جسمه اثار الرخاوة والضعف وفي اعضائه نقصان الحركة
السابقة فتمثل بقول الشاعر حيث قال وحل المشيب كصبح بدا ○
تولى الشباب كبدر افل ○ وصار يمشي كئيبا حزينا الى انه وقف ا

على قبر الشباب فصار يجول بطرفه نحو القبر وفؤاده يحترق بنار
الفرقة والهجر فلما راى الحسد والعداوة ما حل بالنفس من فراق
الشباب اشارا الى المدام وغمزاه بان يتقدم الى النفس ويريه
جماله الباهر ولحظه الساحر ويبدى اليه شيئا من حركاته وخلاعاته
عسى ولعل ان يسلو الشباب ويعود الى الصبابة وزينب والرباب
فتقدم المدام اليه وعرض عليه قوامه الفتان ولحظيه الساحرتان
الماكرتان وخديه الاسيلتان ووجنتيه المدورتان واراه خاله
كفص العنبر وكشف له عن صدر كالجوهر وابدى بين يديه
من الحركات والخلاعات ما يفسد العابد ويفتن الزاهد فلم
يلتفت النفس الى ما اراه ولم يكترث بما فعله المدام وابداه ٭
بل ما زال يتاسف على الشباب ورونق جماله ويتاوه على حلاوة
مبسمه ولذة وصاله فكشف عن قبره طامعا فى حسنه فصار ٭
جسم الشباب خاليا عن التراب فبينما هو على ذلك الحال اذ العقل
قد صح من مرضه وكان وصل اليه خبر موت الشباب فخرج لزيارته
فلما وصل الى قبره صادف النفس قد كشف القبر وهو يتامل
فى محاسن الشباب التى كان يباهى بها البدور عند طلوعها ٭
وتتيه على الشمس الضاحية فى شعاعها فاذا صار جسمه ٭
كالجيفة المنتنة قد احاطت به النمل والديدان وتفككت ٭
اعضاء وجوده ونبشت الفار احداقه البارقة وامتلاء
التراب فيها وهى التى كان يصيد بها طائر القلوب ويجلب
بمخاليب حبه الاحشاء يا له من محبوب وتفرقت اوصاله ٭

وفسد

وفسد نظام تركيبه واكلت الحشرات لسانه الذى كان اذا احضر مجلس
المنادمة يترنم به انواع الترنمات ويبدى اللطائف والنكات فلما
راى النفس ما حل بجسم الشباب من الافات احس فى نفسه الم
الجروحات التى فتحها الحسد والعداوة فى الشباب فصار يتاسف على
فقد الشباب الذى كان معادلاً لروحه ووقف على حقيقة حال الحسد
والعداوة وكيف قد مكرا به وخدعاه وعملا عليه الحيلة حتى وصلوا ٭
بواسطة المدام الى نيل المرام ۰ فعند ذلك غضب عليهم جميعا وطردهم
من عنده ثم حمل جنازة الشباب هو والعقل واعاداه الى قبره ٭
وبنياه احسن بناء وكتبا عليه هذا البيت لا تامنن لو كان راسك فى السما
يوما هبوطا مثل ضوء الفرقد ۰ ثم قرا له الفاتحة ورجع النفس الى محله
وبادر بالتشبث باذيال اسناده العقل مع غاية الخجل واعتذر اليه
وتندم بين يديه من الافعال والقبايح التى سلفت منه وتعهد له
بانه لا يخالف امره ولا يفعل شيئا الا بمشاورته ورضاه من الآن
فصاعدا ولكن لم يدر بان الامر كما قال الشاعر وهو انما الدنيا بعيد غروره ۰
كل من عاش يرى ما لم يره ۰ وحيث ان الزمان دابه الدوران
مع دائرة الاكوان بالوقايع والحوادث المختلفة ۰ فكان النفس
يوما من الايام جالسا فى محله اذ دخل عليه شخصان شقيقان
رذيلان من ارذل الناس يقال لاحدهما الكبر وللثانى العجب
وكان دخولهما على النفس اثقل من الكابوس فصارا يلازمانه
عنده ويترددان عليه وكان النفس اذ ذاك قد مهر فى العلوم
وتبحر فى كل معقول ومفهوم فحصلت الالفة وانعقدت المحبة بينهم

واجبهما النفس لما راى منهما حسن المعاشرة والمصاحبة وهما هو
يظهران له الصداقة رياءً وسمعةً من حيث لا يشعر فوقع في
نفس النفس انه هو اكبر وافضل من الخلق وان الناس
كلهم دونه في المرتبة فصار يتكبر ويعجب في نفسه ويبدي الخيلاء
وكان قبلا اذا خاطبه استاده العقل يتعلم بكمال الادب
والحشمة واما الان فصار كلما افاده بشيء يقابله بالتغليط
والتحريف وتارة يتجرى عليه بالتحقير والتخفيف فلما راى العقل
منه هذه المعاملة علم ان النفس قد وقع في داهية اخرى
كما قيل بدا علم بعد علم وتاثر من ذلك وصار يتفكر في اسباب
ازالة الكبر والعجب عنه ۰ واما النفس فكان يلتزم محادثة
العقل ويصده عن الكلام ۰ وكان العقل كذلك يلتزم هو
السكوت عنده ولكن حيث ان مقتضى القواعد الجارية هو
والتجارب المضبوطة ان المخالطة تجلب البلاء المحتم والقضاء المبرم
فتحركت حمية العقل وحضر يوما من الايام عند النفس وقال له
يا نفس تعلم اني قد بذلت نقود حياتي في تربيتك وصرفت
جميع همتي في اصلاح احوالك الى ان بلغت هذه الدرجة
فالان قد ابتلعت هذين الشخصين الكبر والعجب فكانا
سبب العدم تكلمي بحضرتك ولا تلقي الي بال فاني ارى والله
قد سلكا بك سكةً غير نافذة فاردت ان ابين لك وخامة
هذا المسلك وابدي لك بعض النصائح النافعة فينبغي
لك ان تصغي لكلامي وتلقي الي سمعك من صميم البال

فلما

فلما سمع الكبر والعجب من العقل ما قال بادرا الى النفس
وقالا له اما يستحي هذا العقل ان يدعي عليك الفضل والمعرفة
مع جلالة قدرك وغزارة علمك وفضلك ويقيمك مقام الصبي
الذي لم يبلغ الحلم ويريد ان ينصحك فوالله ان هذا الشيء عجيب
فمنه ذلك تحركت حمية النفس واخذته العزة فقال يا عقل
كيف تقيمني مقام الجاهل المفلس الذي لا يعرف شيئا والحال
ان صدري مملوء بجواهر العلوم ومحشو من المنثور والمنظوم
هل مجيئك عندي لاجل ان تفيدني بل الواجب عليك
ان تستفيد مني فانت ايها الجاهل تريد ان تعاملني بما كنت
تعاملني به عند بلوغي وعنفوان شبابي وقد بلغت الان
من العمر اربعين سنة فيلزم ان تسعى بتربية نفسك واما انا
فمع فضلي وجلالة قدري ليس لي بك حاجة من بعد الان
فلما تصدى النفس باستصغار العقل الذي هو استاده العليم
ومربيه القديم وتجرى عليه بالمعاملات التحقيرية تكدر خاطر
العقل من ذلك وخرج من عنده وذهب الى حال سبيله فبمجرد
خروج العقل طرأ على النفس الخلل وصعد البخار الى دماغه
وعرض له ضيق الصدر فاراد ان يزول عنه ذلك الحال فخرج
يمشي فلما قام على قدميه احس بدوران راسه وغثيان قلبه
فمشى وهو يتمايل من الدوخان الى ان دخل حجرته وتناول كتابا
ليطالع فيه ويزيل ما به من المراق وغلبة السوداء وتامل فيه
فلم يفهم منه شيئا فتعجب من ذلك وترك ذلك الكتاب وتناول

غيره وهكذا الى ان طالع فى جميع كتبه فلم يستفد منها بشئ
فعند ذلك اذعن بان علومه التى كانت سبباً لرعنائه انا انا
وليس غيرى صارت هباءً منثوراً ولم يبق فى صدره منها اثر
فتفطن بانه محتاج الى مراجعة العقل فى جميع احواله احتياجا
حقيقيا فتفقده فى جميع الاماكن فلم يجده فشعر بانه سافر
الى جهة من الجهات فترك الاوطان وخرج هائماً على وجهه
ناوياً السياحة فى البرارى والقفار والخراب والعمار حتى يجد
العقل فى اى ارض كان وفى اى بلدة من البلدان فتبعه
الكبر والعجب وقالا كيف نتركك وحيدا وقد اكلنا عيشك
وملحك ولك علينا حقوق كثيرة فسار واجميعا ولم يزالوا سائرين
من ارض الى ارض ومن بلد الى بلد وقد نالهم من تلك البلدات
انواع الحقارة والرذالة ولم يلتفت اليهم احد بعين القبول
حتى لا سلام ولا كلام فبينما هم على ذلك الحال اذ دخلوا بلدة
يقال لها الندامة فتحسن برايهم ان يقيموا فيها اياما لاجل الراحة
فبيناهم دائرين يوما من الايام فى ازقة الندامة وشوارعها اذ
صادف الكبر والعجب شخصا يقال له البصيرة فتعارضا وتحاورا
مع البصيرة الى ان زاد بينهم الجدال وكثر القيل والقال فقام العجب
وتعلق باطواق البصيرة واراد ان يبطش به فبادر اليه شخص
يقال له الانتباه يحمى عن البصيرة فتغلبا على العجب ورمياه على
الارض فلما راى الكبر ما حل بصاحبه العجب اراد ان يساعده
فلما تقدم الى البصيرة والانتباه قبضا عليه ايضا ورمياه على الارض

وبادرا

١٧

وبادرا بقتل الكبر والعجب واعدما حياتهما فلما راى النفس
ما حل بصاحبيه فر هاربا من ذلك المحل ولم يزل هاربا الى ان
صادف تكية يقال لها تكية التواضع فبادر اليها بالدخول
والتجا الى من فيها من اهل الخمول فاعطوه حجرة من حجراتها
فسكن فيها فبينما هو جالس يوما من الايام فى تلك الحجرة
اذ غلب عليه النوم فنام ساعة ثم افاق وفتح عينيه فاذا هو
فى بلده ومحله وحجرته المعدة له والعقل كذلك جالس عنده
كعادته فبينما هو متحير فى امره ينظر يمينا وشمالا اذ لاحت
منه التفاتة فراى كتابا من كتبه فاخذه ونظر فيه فصار يقرا ما
فيه ويفهم معانيه كعادته السابقة وصار ايضا يتعجب من
هذا السر المكتوم ويراجع العقل ويعتذر اليه مع غاية الخجل
والفشل ويقول لم انى اوقعت نفسى الدنى فى شرك الكبر
والعجب حيث لم يسع حوصلتى وادراكى تلك الظنون
والاوهام فرايت نفسى من اجل العلماء واكبر الكبراء فبهذا
جلبت على نفسى البلاء المبرم والقضاء المحتم ففى ايام ما كنت
ملازما لخدمتك وقائما بانفاذ امرك كنت فى اعز حال واهنأ
بال ٥ والان حيث انى نجوت من تلك الورطة ووصلت
الى محل الخدمة فها انا بين يديك فارجو من فضلك
واحسانك ان تخبرنى بحقيقة ما جرى على من البلايا
والرزايا من ابتداء امرى الى الان ٥ فعند ذلك شرع العقل
فى الكلام وقال ٥ يا نفس ان الكبر والعجب كانا عليك

من اعظم البلايا فلابد من ان تشكر الله تعالى على خلاصك
منها واعلم بانك مهما اردت استحصال انواع الفضائل هو
والكمالات وحسن الخصائل والمعلومات فلا يتيسر لك ذلك الا
باقتفاء اثار اصحاب العلوم والفضائل الذين مضوا في سالف
الازمان وملازمة ارباب الكمالات والمعارف الموجودين
في هذا العصر والاوان ومهما علم الانسان من العلوم والمعارف
فبالنسبة الى علم الله تعالى فهو كلا شئ وفي الحقيقة ليس لها
اثر وعلى مقتضى قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم فلابد ان
الانسان انه يصادف ما هو فوقه في العلم ولربما يظن الانسان
في نفسه انه وصل الى منتهى درجة العلوم والمعارف فيظهر له
صبي من صبيان المكتب فيفحمه عند المباحثة ويبين جهله
ويخجله حتى يحير عقول الحاضرين فاذا كان الامر كذلك فكل عالم
يتصف بصفة الكبر ويرى نفسه اعلا من غيره حال كونه اصغر
الموجودين وادناهم في الدرجة فلا يجد لعلمه بركة ولا يحصل له
من ذلك العلم خير ٭ وكذلك الصفة الذميمة الشهيرة بالعجب
فانها تورط صاحبها في اعظم البلايا واشنع الرزايا وتجعله
مضحكةً ومسخرةً للناس فالانسان اذا قام بدعوى الانسانية
فهذه الدعوى لا تنتج له سوى الاعجاب في نفسه والتحقير لغيره
فالانسان لا يتصف بصفة الانسانية الا اذا ظن انه لا يعلم شيئا
ويرى جميع الناس اعلا درجة منه ٭ فلما سمع النفس من العقل
هذه المواعظ الحسنة والنصايح المؤثرة قام بعرض الشكرانية واظهار

المنونية

المنونية لاستاده ٭٭ في بيان الغضب والرفق والملايمة ٭٭
ان الانسان حسب المقدرات الالهية مقتضى حاله وشانه
لا يخلو من قرين السوء في وقت من الاوقات فكذلك النفس
لما نجاه الله تعالى من شر الكبر والعجب جلس مستريح البال مطمئن
الخاطر فبينما هو كذلك اذ دخل عليه شخص مهول الصورة مخوف
الشكل والهيئة يقال له الغضب فصار يتردد عليه ويلازم الخدمة
بين يديه فلما راه العقل عند النفس قال سبحان الله بدت غائلة
بعد اخرى ثم وجه الخطاب الى النفس وقال ٭ يا نفس يا مجنون
ما اقل حياؤك فهل بعد خلاصك من تلك الورطات واستنقاذك
من هاتيك الصدمات لم تعتبر ولم تتنبه فمن هذا القرين النجس
الذي اراه ملازماً لخدمتك ومواظبا لصحبتك فما استتم العقل
هذا الكلام الا والغضب قد ظهر له من ركن المحل وكان قد سمع
ما قاله العقل فيه فهجم على العقل وقد احمرت عيناه واصفرت
شفتاه وصار يرغي الزبد من فيه من شدة ما فيه من الحدة وقال
هل بلغ من قدرك ان تنسبني الى ما نسبتني اليه وشرع يهدد
العقل بانواع التهديدات فلما راى العقل من الغضب ما راه استعان
عليه برفيقين من رفقائه المخلصين يقال لهما الرفق والملايمة
واما الغضب فمن حيث انه قد ضاع شعوره ولم يتمالك من هيجان
الحدة فظن في نفسه انه يغلب العقل مع رفيقيه المذكورين فهجم عليهم
واراد ان يبطش بهم فقاموا عليه جميعا ومسكوه وضربوه ضرب الكلاب
ورذلوه اقبح ترذيل ثم كتفوه وقيدوه وحبسوه في زاوية من زوايا

النفس ٥ فلما رأى النفس ذلك اختجل من العقل غاية الخجل
وصار يستعفى من ذنبه ويعتذر بين يديه فعند ذلك
بادر العقل الى الكلام وقال ٥ يا نفس ان ائتلاف
الانسان مع الغضب وان كان من الامور الضرورية لكن لا ينبغى
ان يمد له القياد حتى لا يبلغ درجة ينازعه بها هذا ويضارب
هذا ويخاصم هذا بل نسبة الغضب الى الانسان كنسبة كلب
الصيد الى الصياد فيستعمله عند الحاجة وعند عدم لزومه يقيم
مع سائر البهايم ويطوف فى زوايا البيت لا يكترث به احدهم
واما انت فاتخاذك اياه نديما وقيامه مقام الصديق ونظرك
اليه بعين الرعاية الجاه الى ان يتجاسر على وكاد ان تقوم فتنة
من اجله ٥ فلما سمع النفس من العقل هذا الكلام قام وقبل
يديه واعتذر اليه ٥٥٥ فى بيان سوء الخلق والاستهزاء ٥٥٥
٥٥٥ ثم لما مضت مدة يسيرة بعد قضية الغضب جلس
النفس يتفكر فى احواله السابقة ويقول ان الانسان يقاسى
ما يقاسى من المكاره ويمضى عليه احوال عجيبة الى ان يتيقظ ويعرف
نفسه وكيف يكون حال الانسان اذا لم يصادف مربيا ناصحا مثل
العقل وصار يشكر مولاه على ما اولاه من العلوم والمعارف التى
فى محفوظيته ويفتخر بذلك ويباهى بنفسه بما ناله من محاسن
الاخلاق وغير ذلك فبينما هو على ذلك الحال اذ دخل عليه شخص
كريه المنظر قبيح الصورة تلوح عليه آثار التهور واخرج من جيبه
حية منقوشة وحطها قدام النفس فلما نظر اليها انفها واشمئز

منها

منها وقال له من انت قال انا سوء الخلق فكره النفس ذلك لثقالة
اسمه وخباثة جسمه ولكن لما قال له اما اردت من احضار هذه الحية
بين يديك الا لارقيك بها لئلا تحرك العقارب والحيات وسائر
انواع الحشرات وان تكرمنى بشئ استعين به على فقرى فكان
النفس يميل طبعا الى الرقى لاجل ان يامن سموم الهوام والحشرات
فوافق سوء الخلق بما اراد فقام سوء الخلق ورقى عليه ثم وضع الحية
فى جيب النفس واخذ ما تحصل من الاكرام وتوجه الى حال سبيله
واما هذه الحية فكان اسمها الاستهزاء وكانت هى السم القاتل
والهلاك العاجل مسمومة مشئومة مملوءة بالآفات محشوة
بالنكبات ولكن النفس لم ينظر الى ما فى باطنها بل نظر الى
نقوشها والوانها الظاهرى واطمئن بانها لا تضره ولم يدر بان
العاقل لا ينبغى له ان يحمل الحية ويضعها فى جيبه فاذا حملها ولم
يلاحظ ما ينتج منها فلا بد من تاثير آفاتها فيه وكان الواجب على
النفس ان لا يقرب تلك الحية الخبيثة ولا يقبلها من ذلك الحاوى
المسمى بسوء الخلق وكان يلزم عليه ان يستاذن استاذه العقل
فى اخذها وقبولها فذهل عن ذلك وحملها فى جيبه وصار كلما
جاءه احد من اصحابه واصدقائه يخرجها من جيبه ويلقيها بين
يديه لبيان صنعته كالحاوى ولاجل ان يضحك على ذلك الصديق
ويتلذذ بايذائه وازعاجه فصار اصدقاؤه يتنفرون منه ويانفون
صحبته من اجلها ويحترزون منها وهو يضحك عليهم ويستهزئ
بهم حتى انحرف عنه جميع اصدقائه ومحبيه الى ان صاروا يكرهونه

ويكرهون ذكره في مجالسهم وينفروا منه مرة واحدة لما راى العقل
ان النفس صار منفورا بين مجالس احبابه واحبه وقانه مهجورا
اوردله المقالات الاتية في ضمن النصيحة وقال ٥ ٥ ٥ ٥ ٥
يا نفس ان سوء الخلق في حد ذاته ردئ جدا من اعظم الرداءة
ولا ساق الانسان الى امر من الامور الا ظهر فيه العطب عوبدا
وحيث ان الاستهزاء كذلك من هذا القبيل نذ بين لك اولا
حال الاستهزاء ثم نوضح لك محاسن حسن الخلق وتبايج سوء
الخلق وما ينتج منها ٥ ٥ ٥ في بيان حال الاستهزاء ٥ ٥
ان الصفة المسماة بالاستهزاء هي صفة مضرة تشبه الافعى
ذات الهلاك فالناس تحترز من الشخص المستهزئ كما
تحترز من الافعى لان المستهزئين كالذين يحملون الحيات
بايديهم ويرمونها على الناس ثم يتاخرون ويضحكون عليهم
ويحصل لهم الطرب في انفسهم مما اصاب الناس من الفزع منها
فكل شخص فيه صفة الاستهزاء فلا يتلذذ احد بصحبته حتى
ان اقرباءه يبغضونه ويتباعدون عنه ٥ واذا دخل مجلسا فيه
اصحاب الاداب الانسانية يتالمون منه ويستثقلونه كما يستثقل
الانسان الكابوس ويكاد ذلك المجلس ان يتفرق ويتشتت
من شدة ما يعتريهم من الانقباض ويصدق فيه قول الشاعر
اذا حل الثقيل بارض قوم ٥ فما للساكنين سوى الرحيل هر
فلا يزالون يستثقلونه ويضيق صدورهم منه حتى يقوم من
ذلك المجلس ٥ وان طائفة المستهزئين قد سموا هذه الصفة الذميمة

مزاحا ولطافة ويقيمون انفسهم مقام اهل اللطائف وانهم
من الظرفاء اللطفاء والحال ان المزاح من طبعه يجلب
الانبساط للممزوح به ولا يتأثر منه ولا يتكدر خاطره من المازح
واما الاستهزاء فهو عبارة عن استصغار وتحقير الشخص المستهزاء
به فيتالم منه ويتكدر خاطره فالمستهزئون من شانهم يستهزئون
بكل شخص عاينوه ويظنون ان الناس لا يشعرون بذلك كالطير
المسمى بالحجل لما ينزل الثلج في ايام الشتاء يدخل راسه في الثلج
ويبقى رجليه في الخارج خوفا من الصيادين ويظن انه قد اخفى
نفسه منهم والحال ان الصيادين ياتونه اليه وهو لا يشعر وياخذونه
بسهولة من غير تعب وهكذا المستهزئون يظنون انفسهم
من العقلاء واهل الدقة وغيرهم غافلون لا يفهمون شيئا وبهذا
الظن الفاسد يستهزئون بمن يرونه من خلق الله ولا يراعون
حقوق نفوس العباد ولا حرية الانسانية وينفرون عموم الخلق
منهم لمجرد تلذذهم بذلك ويزعمون ان الاستهزاء هو من المسائل
الغامضة وليس لاحد قدرة على حلها سواهم والحال لو يعلمون
بان الاستهزاء صفة مذمومة مقدوحة عند الله وعند الناس
لما ارتكبوها ٥ فالشخص المستهزئ اذا استهزأ ببعض شخص
من اعضائه فلا بد ان يفجع بعضو من اعضاء جسمه ولو بعد حين
والذين يستهزئون ببعض افعال الناس او احوالهم الناشئة من
الفقر والاحتياج فلا يموتون الا في ارذل العمر ٥ والذين يبقون
مدة حياتهم على تلك الصفة فلا بد من ابتلائهم في عاقبة امرهم

بالمسكرات او بشئ من المحرمات وكيف يفلح شخص يستهزئ
بذات شخص مثله او احواله من حيث الخلقة والصورة وهو
النسخة الكبرى وانه هو واياه اثران من اثار الصانع الحقيقي
فلا شك ان الذي يتقي ويخشى خالق الشخص المستهزأ به
وصانعه الحقيقي لا يتجاسر على مثل ذلك بوجه من الوجوه ه
ولو نظرنا بعين الانصاف وتفكرنا في جميع الجهات والاطراف
لرأينا الانسان والحيوان والكون والمكان هي اثر صنع صانع
واحد على الاطلاق فعلى هذا فمن المعلوم انه اذا نظر شخص
الى اثر صنع شخص اخر بعين الحقارة وعاب ذلك الاثر واستهزأ
به فكيف يكون حال ذلك الشخص الصانع لذلك الاثر فلا يغضب
عليه ويدعي الكمال ناموسه وشرف صنعته من الشخص المستهزئ
فكيف بمن يستهزئ بالانسان الذي هو اثر صنع الممتاز الرباني
واشرف الخلق المختار الصمداني اليس ذلك محض اعتراض على
صنع الله سبحانه وتعالى اما يوجب ذلك ظهور الغيرة الالهية
في حقه وهل يفلح من يتعرض لامر يوجب ظهور الغيرة الصمدانية
ان صفة الاستهزاء لا يتصف بها الا من لم يذق طعم الادب
والتربية من والديه او ممن يقوم مقامهما او انها لا تظهر الا
من شخص نال ميراثا كثيرا من احد اقاربه فاحاط به هو
السفهاء والاراذل طمعا في ماله وصاروا يمدحونه ويعظمونه
او من شخص كان جميل الصورة فاحبوه الناس لجماله وصاروا
يهرعون اليه من كل جانب فاذا شاهد هؤلاء توارد الناس

اليهم

اليهم وعرض حاجاتهم عليهم يتخيل لهم انهم اكمل الناس واعظمهم
فتظهر حينئذ صفة الاستهزاء فيهم ولا ينشأ ذلك الا من مسامحة
ابائهم وامهاتهم او سائر مؤدبيهم واغضاء النظر عن ادخالهم دائرة
الاداب الانسانية وعلى كل حال ليس لتلك الصفة منشاء
سوى قلة الادب وعدم التربية فان كانت تلك المسامحة من
الوالدين او من سائر اوليائهم فهو لاجل عدم التضييق على
اولادهم وانهم ينشأون كيف يشاؤن فهذا ليس من المروءة
منهم ولا ينبغي لهم ذلك لان صاحب تلك الصفة الذميمة
او سائر الاوصاف المذمومة ان كان له في الدنيا صديق واحد
فبمقتضى تلك الصفة او سائر الاوصاف عما قليل يصير له هو
اعداء كثيرة ولا بد له من مقاسات الاهوال والشدائد مدة حياته
كما قيل من لم يؤدبه الابوان يؤدبه الزمان ويكون ابواه وسائر
مربيه قد قصروا في شانه حق التقصير كما هو معلوم عند ارباب
الحقايق في احوال هذا العالم ∘ والحكمة في هذا النوع الانساني
كونه مامورا بالتربية دون الصبي اذا تركوه على حاله ينشأ كيف
يشاء فالنفس من طبعها لا تميل الا الى ما فيه حظها ∘ وان كان
قد يوجد من يسلك طريق الاستقامة من غير مربي لكن هذا
شاذ لا يكاد يوجد ونادر جدا والنادر كالمعدوم فكل انسان
لا بد له من مربي يربيه ثم يرقيه ∘ لولا المربي ما عرفت ربي
ولا سيما اذا كان الانسان شابا امرد من اهل الحسن والجمال
فلا يجوز تركه على حاله وغض النظر عن تربيته واكثر المستهزئين

لايكونون الامن هذه الطائفة الذين كانوا من اهل الحسن والجمال
والتيه والدلال وقد مضى زمانهم وزال رونقهم وجمالهم هذا
والسبب فى ذلك انه لما كان سلطان حسنهم قد استولى على
عقول اهل الفساد من العباد ومليك جمالهم قد تقلب على
صماصيم فوادهم كيف اراد وكانوا ينحنون اليهم ويتبصبصون
بين يديهم طمعا فى صحبتهم ورغبة فى الفتهم وكلما احاطوا
بواحد منهم وجلسوا بين يديه صار كل منهم يقول له ماشا الله
ياحبيبى انت الان فى هذا المقدار من الكمال والذكا فكيف اذا
بلغت مبلغ الرجال فلا شك فى انك تفوق على افلاطون وبقراط
وتسبق بالحكمة لقمان وسقراط وهكذا من الكلام الفشار
الذى لاطائل تحته ولا معنى له سوى نيلهم المراد من تقربهم اليه
وحيث ان هؤلاء المردان لحداثة سنهم وجهلهم وعدم تمييزهم
الحسن والقبيح يعجبهم كلام العشاق الفساق ويميلون اليهم
ويرون انفسهم ممتازين عن الناس ولعدم التفات ابائهم ومربيهم
اليهم وتغافلهم عنهم يتعلمون من كل واحد من العشاق صفة
مذمومة ويتصفون بها حتى تنبعث منهم صفة الاستهزاء
وانواع الصفات الذميمة التى توجب لهم المضرات العديده
واذا لم يشتغلوا بالميل الى تلك الاحوال والسخريات فلا يجد العشاق
حيلة يتوصلون بها اليهم ولا ينالون اربا منهم فلاجل ذلك
يبادر كل واحد منهم الى مضحكة من المضحكات والى مسخرة من
المساخر ويعرضونها على المردان وهم كذلك يكتفون بما يرونه

منهم

منهم ويتلقفونها وتمضى ايامهم واوقاتهم معهم بالضحك
واللعب والقهقهات وانواع الملاهى والسخريات ولا يتعلمون
سوى ذلك عوضا عن اكتساب العلوم والمعارف فلم تزل هذه
الخصال تصحبهم الى زمن كبرهم فحينئذ تصير صفة الاستهزاء طبيعة
ثانية لهم ثم لم تزل الفساق تخدم المردان والمردان كذلك يتلقفونهم
ويرغبون فيهم ويميلون اليهم بالطبيعة الى ان يزول رونق جمالهم
وبهاء حسنهم فاذا زال ذلك ولم يبق فيهم مطمع فالفسقة الذين
كانوا يتلذذون بشتم المردان لهم وصفعهم اياهم يصير كل واحد
منهم يترصد وسيلة يتوسل بها لاجل الانقطاع عنهم والبعد من
مجالستهم فاذا رأى من احد من المردان اقل حركة او سمع منه ادنى
كلمة يتخذها وسيلة ويغتنم الفرصة ويقول سبحان الله قد مضى عمرى
فى صحبته ولم ازل فى خدمته وكنت ارعاه بعين المحافظة والاحظه
احسن ملاحظة فالان صرت محقرا فى عينه وصار يضحك على
ويستهزئ بى فليس لى حاجة فى صحبته ولا سبيل الى مجالسته
فيفترقون عنه واحدا بعد واحد بهذه الوسيلة فهذا ما كان من امر
العشاق واما ما كان من امر المحبوب فمن بعد تفرق المحبين عنه
يبقى وحيدا طريدا ساقطا من عيون الناس ولم يبق عنده سوى
الحرمان من تحصيل المعارف والكمالات والاداب الانسانية واذا
حضر مجلسا من المجالس او محفلا من المحافل لا يلاحظ الا بعين
الاستثقال ولا يسمع الا الذم والقدح فيه ٥ فلما اكمل العقل
افاداته النافعة المتعلقة بمضرات الاستهزاء شرع يتكلم فيما يتعلق

ايضا بحسن الخلق وسوء الخلق فاورد للنفس المقالات الاتية وقال

ه ه ه ه في تعريفات الاخلاق الانسانية ه ه ه ه

اعلم ان الخَلق بفتح الخاء والخُلق بضمها كلمتان مستعملتان بالسوية فيقال ما احسن خَلقه بالفتح وخُلقه بالضم فالكلمة الاولى افادت حسن الهيئة الظاهرة كالعين والحاجب والوجه والفم وسائر الاعضاء ه والكلمة الثانية افادت حسن الصورة الباطنة كالسخا والشجاعة والكمال والعفة والمعرفة ه وايضاح ذلك ان الانسان مركب من الروح والجسد فالجسد له عينان يسمى البصر والروح لها عين تسمى البصيرة ه فالبصر يرى المحاسن والقبايح الظاهرة والبصيرة ترى المحاسن والقبايح الباطنة لكن البصيرة من حيث القدر والحيثية هي اعظم واشرف من البصر ولاجل ذلك افادنا الحق سبحانه وتعالى بعظم قدر الروح واضافها الى نفسه حيث قال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وبين لنا بان نسبة الجسد الى الطين ونسبة الروح اليه تعالى فعلمنا ان الروح والنفس في هذا المقام شئ واحد فالخلق بضم الخاء هو عبارة عن رسوخ هيئة في النفس تظهر منها امور واحوال بسهولة من دون ان يحتاج الانسان الى تفكر وتامل فهذه الامور والاحوال التي ظهرت من تلك الهيئة ان كانت محبوبة شرعا وعقلا فيقال لها خلق حسن وحسن الخلق بالضم وان كانت غير محبوبة يقال لها خلق سئ وسوء الخلق فيقال لصاحب الهيئة الاولى صاحب خلق حسن ولصاحب الهيئة الثانية سئ الخلق ه وقد ذكرنا انفا

ان الخلق هو عبارة عن رسوخ هيئة في النفس وذلك لصدور الافعال والاحوال عنها بسهولة من غير تكلف لان الانسان اذا تكلف ببذل ماله [illegible] من غير سماحة نفس فلا يقال له رجل كريم ه وقوله لصدور الافعال والاحوال منها بسهولة لان الانسان اذا اعطى ماله لهذا ولهذا كرها من غير انشراح صدره لا يكون سخيا وكذلك اذا اختار السكوت كرها وتكلفاً عند هيجان غضبه لا يقال له رجل حليم ه وفي بحث الخلق الحسن والخلق السئ الذي ذكرناه اربع مواد ه الاولى منها فعل الحسن والقبيح ه الثانية وجود الاقتدار فيه سواء كانت افعاله حسنة او قبيحة ه الثالثة انه يعلم افعاله هل هي حسنة ام قبيحة ه الرابعة ان يترك هيئته على حالها وطبعها ثم ينظر هل تميل الى حسن الافعال ام قبيحها ه ه واصل الخلق الراسخ في الانسان ليست الافعال التي تصدر عنه لانه يوجد كثير من الناس مجبولين على الكرم والسخا ولكن يمنعهم عن البذل عدم الاقتدار او مانع اخر ه وكذلك يوجد كثير من الناس مجبولين على الشح والبخل ولكن يبذلون اموالهم رياء وسمعة لينسب اليهم الكرم والسخا فهذه الافعال هي عبارة عن صرف القدرة التي مجبول عليها الانسان لان الانسان قادر على اعطاء شئ وعلى عدم اعطائه فقدرته هي منسوبة الى الاعطاء والى الامساك وقد ينسب تارة الى الاعطاء وتارة الى الامساك ه والانسان ما خلق الا قادرا

على الاعطاء والامساك ولذلك يصدر منه تارة فعل السخا
وتارة فعل البخل ولم يخلق مستقلاً بواحد منهما وهذه الافعال
هي عبارة عن معرفة الحسن والقبيح فقط وهذه هي المادة هي
الرابعة من المواد الاربعة المذكورة يعني ان الخلق في الانسان
هو هيئة باطنة لا تستعمه النفس الى صدور السخا او البخل
الا بتلك الهيئة فلذلك حسن الصورة الباطنة منوط الى
اعتدال الاركان الاربعة وتناسب وجودها في الانسان
من حيث الخلق بضم الخاء فاذا لم يكن كذلك فلا يقال لصورة
باطنة تام الحسن من كل الوجوه كما لا يقال للانسان جميل
الصورة من كل الوجوه اذا كانت عيناه مليحتان وفمه وانفه
ووجهه قبيحا ٥٥ واما الاركان الاربعة الباطنة فهي قوة
العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل ٥ فقوة العلم
من تلك الاربعة هي قوة ممدوحة افضل من اخواتها لان صدق
الكلام وجودته وكذبه وقبحه والصواب في الاعتقادات
والخطا فيها وحسن الافعال الصادرة وقبحها يعلم من تلك
القوة وصلاحها فاذا اصلحت هذه القوة تحصل منها ثمرة
الحكمة لان الحكمة راس الاخلاق الحسنة بدليل قوله تعالى
ومن يوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ٥ واما قوة الغضب
فهي لا بد منها للانسان ولكن حسبما اقتضته الحكمة فقط
من حيث الانبساط والانقباض فان كانت في هذه الدرجة
فهي محبوبة وان زادت او نقصت عن تلك الدرجة فليست

بمحبوبة واما قوة الشهوة فهذه القوة اذا لم تخرج عن الحد الذي
بينته الشريعة المطهرة وبينت طريق لزومها وكانت دائما تحت
ادارة العقل فهي محبوبة ومقبولة واما اذا تجاوزت ذلك
الحد او غلبت اختيار الانسان فهي مذمومة قطعا واما قوة
العدل فهي مامورة بادارة قوة الغضب وقوة الشهوة فهي تحفظهما
من الخروج عن دائرة الاشارة التي تاتي اليها من جانب الشرع
والعقل وتمنعهما عن الافراط والتفريط ٥٥ مثال ٥٥ العقل
هو مشير ناصح في وجود الانسان والعدل هو قدرة لاجراء وانفاذ
الافعال تطبيقا للاشارة التي اشار بها الشرع والعقل والغضب
هو شيء لاجراء الحكم حسبما امر به العقل الذي هو المشير الناصح فكما
ان العقل هو المشير الناصح والعدل مدير الاجراء كذلك الغضب
مثل كلب الصيد والشهوة هي كالصيد او كالفرس الذي يركبه
الانسان عند الحاجة فكما ان كلب الصيد يحتاج الى التربية والتعليم
لينتفع به عند الحاجة كذلك قوة الغضب يقتضي تربيتها او
كالفرس الذي يطلب منه اذا كان واقفا يكون ساكنا وهاديا
وعند الركوب يمشي مشيا مرغوبا ويجري جريا مطلوبا وكذلك
قوة الشهوة فلا يلزم ان تكون كالفرس الجموح الذي اخذ عنان
اختيار صاحبه من يده وصار يجري جريا متجاوز الحد بحيث لا يبالي
بمهاوي الاودية ومصادمة الجبال يخشى عليه وعلى صاحبه من
الهلاك من ذلك بل اللائق للشهوة ان تكون كالفرس المرتاض
المطيع لصاحبه يصرفه كيف يشاء ويديره حيث شاء ويستعمله

على حسب اللزوم ٥ فان كانت هذه الخصال في الانسان في حد
الاعتدال يقال لصاحبها صاحب الاخلاق الحسنة وان كان
بعضها على وجه الاعتدال يقال لصاحبها كذلك صاحب الخلق
الحسن لكن بالاضافة الى ذلك البعض لا الى الكل كما لو كان
بعض مواضع الانسان مليحا مثلا يقال فلان مليح العينين
او اسيل الخدين او حلو المبسم وما اشبه ذلك ٥ واذا كانت
قوة الغضب في الانسان في حد الاعتدال يقال لها الشجاعة هو
واذا لم تكن في حد الاعتدال فيلزم ان تكون اما زائدة عن الحد
واما ناقصة فان كانت زائدة يقال لها التهور ومعنى ذلك
ان يصول الانسان على الشئ من دون ان يلاحظ العواقب
ومنشأ ذلك عدم العقل وان كانت ناقصة يقال لها الجبن
والجور يعني الخوف وعدم الحقانية ٥ وكذلك قوة الشهوة
اذا كانت في حد الاعتدال يقال لها العفة وان تجاوزت حد
الاعتدال يقال لها الشره وهو ضرب من الحرص واذا لم تبلغ
اي قوة الشهوة حد الاعتدال يقال لها الجمود وهو الانقطاع
عن الجماع واحسن الاحوال فيما ذكر ان تكون في درجة الوسطى
بلا زيادة ولا نقصان فحينئذ تسمى فضيلة وان زادت او نقصت
تسمى رذيلة ٥ ٥ واما قوة العدل فهي صفة لا تقبل الزيادة
ولا النقصان بل لها ضد يقال له الجور ٥ ٥ واما الحكمة فان
تجاوزت حد الاعتدال واستعملت في الاغراض الفاسدة يقال
لها الخبث والحيلة وان قصرت عن حد الاعتدال يقال لها البله

واذا كانت

واذا كانت في حد الاعتدال يقال لها الحكمة ٥ ٥ ٥ في بيان
امهات الاخلاق واصولها ٥ ٥ ٥ وذكر ما يتولد منها سائر الاخلاق
يعني امهات الاخلاق العمومية اربعة وهي الحكمة ٥ والشجاعة
والعفة ٥ والعدل ٥ فالحكمة هي حالة مدركة فارقة بين الاستقامة
والاعوجاج ٥ والعدل هو آلة لاستعمال الغضب والشهوة حسبما
تقتضيه الحكمة ٥ والشجاعة هي زمام في يد صاحب القوة هو
الغضبية من كل الوجوه ٥ والعفة هي سكون قوة الشهوة
ودوام بقائها تحت التربية بتاديب الشرع والعقل لها ٥
فهذه الاصول والامهات الاربعة المذكورة اذا وجدت في الانسان
على حد الاعتدال فيظهر من صاحبها الاخلاق الحسنة في كل الاحوال
والحكمة اذا كانت في حد الاعتدال ينتج منها حسن التدبير وجودة
الذهن ونفوذ الرأي والاصابة في الظنون والاوهام التي
تتعلق بدقائق الامور ٥ واذا بلغت الحكمة حد الافراط تتولد
منها الحيلة والحقد والكذب وما اشبه ذلك واذا بقيت في حد
التفريط ولم تبلغ درجة الاعتدال تتولد منها الحمق والبلادة
مع سلامة الخيال والاحمق هو رجل صحيح القصد في حصول
الشئ لكن سلك طريقا فاسدا على زعمه ان ذلك الطريق
هو القصد الصحيح والبليد هو رجل يختار الاشياء التي
لا يقتضي اختيارها يعني لا يختار الا الاشياء الفاسدة ٥ ٥
والشجاعة اذا كانت في حد الاعتدال ينتج منها علو الهمة وعلو
الجناب والفروسية والجسارة وتوطية النفس والوقار والتودد

وامثال ذلك من الاخلاق الحميده واذا بلغت الشجاعة حد الافراط
تولد منها التهور والمباهات الواهية ويحتد عند الغضب حتى
يصير كالجمر والاعجاب فی نفسه زاعما انه من اهل الفضل وما
اشبه ذلك من الاوصاف الذميمة واذا بقيت الشجاعة فی حد
التفريط ولم تبلغ درجة الاعتدال تولد منها الجبن والدناءة
فاذا اصابته ادنی مصيبة يتضجر منها ويفشی ما فی قلبه من
الاكدار ويرذل نفسه فی اقل حاجة واذا كان له حق علی شخص
يخاف ان يطالبه وينقبض فی نفسه من اجل ذلك واذا اعتراه
اقل جوع او ظمأ او الم او وجع يقلق منها ويبادر الی البكاء
ويضيق من اقل شیء ۰ والعفة ينتج منها السخاء والحياء
والصبر علی الشدائد وكظم الغيظ والعفو عن من اساء اليه والقناعة
والتقوی واللطافة والمساعدة وعدم الارتكاب وعدم الطمع
واذا بلغت حد الافراط او التفريط تولد منها الحرص والطمع وقلة
الادب والخبث والسرف وخسة الطبع فی نفقة عياله والرياء
والاشتغال بالاشياء التی لا فائدة فيها والتبصبص لكائن من كان
والحسد والنزاع وتحقير نفسه عند الاغنياء واهل الاعتبار والتكبر
علی الفقراء وما اشبه ذلك فهذه الاربع فضائل هی امهات
محاسن الاخلاق وما عداها فروع تتولد من افراط تلك الامهات
او تفريطها وهذه الفضائل ما كملت ولا بلغت الی حد الاعتدال
الا فی سيدنا محمد صلی الله عليه وسلم وفی غيره لم تبلغ حد الاعتدال
ثم بعده قد تفاوتت الناس فی ذلك بحسب القرب والبعد

فی بيان

۰ ۰ ۰ ۰ فی بيان هل تتغير اخلاق الانسان بالرياضة ام لا ۰ ۰ ۰
ان بعض المغفلين الذين سلموا زمام اختيارهم الی انفسهم ادعوا
بان الاخلاق لا تتغير واوردوا علی ذلك دليلين ۰ الاول قالوا
ان للانسان صورة باطنة وصورة ظاهرة فكما ان صورته الظاهرة
لا تقبل التغيير مثلا اذا كان الانسان قصير القامة لا يمكن ان يصير
طويلا واذا كان طويلا لا يمكن ان يصير قصيرا واذا كان مليحا لا
يصير قبيحا وبالعكس لو عالج الانسان مهما عالج فكذلك الاخلاق
التی فی صورته الباطنة مهما سعی وتدبر لا يمكن تغييرها ۰ ۰
الدليل الثانی انه لما صار السعی والاهتمام والتجربة طبق المرام
بالمجاهدات والرياضات فی ازالة الغضب والشهوة عن الانسان
بالكلية كقلع الشجرة من الارض باصولها وعروقها فما امكن اصلا
لان الغضب والشهوة هما حالة حسبما تقتضيه طبيعة الانسان
ومزاجه فبناء علی ذلك فالذی يسعی ويجتهد فی ازالة الغضب
والشهوة بالكلية يكون قد رام المحال وضيع[1] فيما لا ينال وحيث
ان القصد من زوال الغضب والشهوة هو قطع التفات القلب
عن الحظوظ العاجلة فهذا لا يمكن ابدا انتهی ۰ الجواب علی هذين
الدليلين انه لو كان الامر كما تدعيه هؤلاء الطائفة من ان الاخلاق
لا تقبل التربية ولا يمكن تغييرها لبطلت جميع الوصايا والمواعظ
والتاديبات ولا كان للكتب السماوية صحة ولا لوصايا وتنبيهات
الانبياء والرسل حقيقة وكذلك الجزاء المرتب من طرف الحكومة فی
حق المتهمين واصحاب الجرائم لاجل ان يتادبوا ولا يعودوا لمثلها

[1] اوقاته

ولاجل ان يرتدع غيرهم من المستعدين للفساد فمادام ان صاحب الجرم
والقباحة لا يرتدع ابدا وان ضربوه او حبسوه او اجلوه من وطنه
وكذلك المستعد لايقاع الفساد وارتكاب القبايح من امثاله هم
مادام لا يعتبر بما حصل للمجرم من الضرب والتنكيل اذاً فما فائدة الحكم
ودوائرها المعدة لذلك وما ثمرة الجمعيات المعينة للمحاكمات هم
والاستنطاقات فنظن ان كل من لاحظ هذه الملاحظات واورد
عليها دلائل لا طائل تحتها ليس له عقل ولا احساس بالكلية
لانه كما لا يخفى على احد بل يعلمه الطفل الصغير ان الحيوان المسمى
بالكلب من طبعه الحرص والشره ياكل ما لاح فاذا تادب وتعلم
يصيد الارنب والثعلب وغير ذلك ولا ياكله ولا يتعرض له بسوء
وربما يبقيه حيا الى ان ياتي اليه الصياد وياخذه وذلك لكمال
ادبه وتعلمه وقد شوهد مرارا ان بعض الكلاب المودبين
يجلس عند سفرة الطعام ويطرد الهر ولا يتعرض هو للطعام
اصلا وان الطير المسمى بالباشق هو حيوان وحشي جدا يهرب
من كل شئ ولا يقرب من الانسان ابدا فاذا اخذوه وادبوه
ففي ارساله على الصيد ينقض عليه ويمسكه ثم بعد ذلك
اما ياتي به الى صاحبه او يجلس قريبا منه حتى ياتي صاحبه
وياخذه ولا يهرب حين اطلاقه وارساله من كمال ادبه وزيادة
ايتلافه بصاحبه ٥ وان الخيل كذلك من طبعها النفور فاذا
ربضت وقبلت التربية انقادت وسلمت زمامها الى صاحبها
وزال ما كان بها من الوحشة والنفور فاذا كان الامر كذلك

بحيث ان البهايم تقبل التربية وتصلح حالها وتتغير طباعها
الاصلي بلا انكار فما بالك بالانسان الذي هو اشرف المخلوقات
والنسخة الكبرى ومجموع الكائنات هل هو ادنى من البهايم
حتى لا يقبل التربية ولا تتغير اخلاقه ام كيف يدعي من ادعى
ذلك واقام دلائل برايه لتاييد دعواه فلا شك ان ذلك المدعي
في غاية من الحمق ٥ ثم ان الموجودات تنقسم على قسمين
فالقسم الاول هو ما لم يكن للانسان مدخل اصلا ولا اختيار
في تفصيله وتركيبه كالسموات والنجوم والآلات التي في باطن
الانسان واعضائه الظاهرة والاجزاء التي في سائر الحيوانات
فهؤلاء المذكورات لما خلقوا في حد ذاتهم على صفة الكمال فليس
للعبد فيها مدخل ٥ والقسم الثاني هو ما خلق على نقص من
الوجود ففي هذا القسم قوة في ذاته لقبول الكمال ٥ وشرط
كون ارتباط اختيار العبد به فاذا لم يرتبط ذلك الشرط فلا حصول
لتلك القوة ٥ بذر التفاح مثلا ليس هو شجرة التفاح لكن يمكن
ان يصير شجرة اذا وضع في ارض مستعدة للغرس وسقي بالماء
فجميع اعضاء وجود الانسان هي من القسم الاول لا يمكن ان
تتغير كاليدين والرجلين والعينين والحاجبين والشفتين
واما الاخلاق الانسانية كالغضب والشهوة فمن كون انها
من القسم الثاني فيمكن ان تقبل التربية والاصلاح باختيار العبد
لكن اذا اردنا ازالة الغضب والشهوة عنا بالكلية بحيث لا يبقى
لهما فينا اثر كما نقطع الشجرة باصولها وعروقها فلا سبيل لنا الى ذلك

بل يمكن انقيادهما الينا بالتربية والرياضة والمجاهدة يعني بحيث
نغلبهما عند هيجانهما فينا ولا نوافقهما على مرادهما كما اننا مامورين
بذلك ايضا من جهة الشرع ٥ ومن المعلوم ان الانسان حين
يبلغ مبلغ الرجال تهيج فيه الشهوة وربما يكون مغلوبا لها ولا
يقدر على ضبطها وتسكينها ويرتكب امورا واحوالا خارجة عن
حد الادب والحياء ولا يبالي بكلام الناس فيه مهما قالوا فيما
هو منهمك في لذاته اذ تتحول احواله الى احسنها ويتصف
بكمال العفة والديانة وذلك اما بتاثير الزجر والتربية واما بالتنبه
والتيقظ من نفسه وقد شوهد ذلك في كثير من الناس فالشهوة
تلك الشهوة باقية بعينها والشخص ذلك الشخص كذلك بعينه
ولكن التربية اخذت بعنان الشهوة وسلمته الى يد الشخص
فملك زمامها وغلب عليها ٥ فالانسان لو تفكر في احوال
نفسه من بداية امره الى الوقت الذي هو فيه يرى كثيرا من الاحوال
التي كان يتمنى فعلها اذا ذكرت عنده يأباها طبعه وتشمئز
نفسه من سماعها فضلا عن ان يفعلها او يرتكبها وربما كان
قد تكلم بشيء قبل مدة فبعد مضي تلك المدة يستنكر جريانها
على لسانه في المدة الماضية فضلا ان يتكلم به ثانيا فهذه الاحوال
الحسنة لا تاتي الا من الاحتراز عن موافقة الحظوظ النفسانية
والتزام التربية ٥ فعلى هذا فلا شك في بطلان ادعاء من يقول
اخلاق الانسان لا تتغير ٥ لكن نقول ان الجبلات تختلف
من حيث قبولها للتربية بوجه السرعة او بالبطاءة ولذلك اسباب

وهي على

وهي على اربع مراتب ٥ المرتبة الاولى لها طائفة وهم الذين
لهم قدرة على تمييز الحق من الباطل لخلوهم عن الاعتقاد وهم
على ما خلقوا ولم يتعلموا شيئا ومضوا على ذلك وحيث لم هم
يذوقوا طعم اللذات النفسانية ايضا فبقيت شهواتهم ناقصة
مثلهم فتربية هؤلاء الطائفة ليست متعسرة بل يقبلونها
في اقرب وقت واقل اشارة من مرشد او معلم او اذا جاهدوا
بانفسهم لسبب من الاسباب قد وجد فيهم فتتغير حينئذ اخلاقهم
ويصلح احوالهم ٥ ٥ ٥ المرتبة الثانية لها طائفة وهم هم
يعرفون محاسن الاشياء وقبائحها ويدركون دقائق الامور
باسرها لكنهم تركوا انفسهم على ما خلقوا عليه ولم يلتفتوا الى
صالح الاعمال ولم يتشبثوا باسباب تهذيب الاخلاق بل انهم
انقادوا الى شهواتهم واغتنموا كل فرصة ظفروا بها فساقتهم
شهواتهم الى غاية من الحظوظ النفسانية واستحسنوا هم
لانفسهم ذلك المسلك فتعسر رجوعهم عن ذلك ولو ايقنوا
بالهلاك ومن جملة هذه الطائفة ان بعض مدمن الخمر منهم
يعتريه الداء العضال فتخبرهم حذاق الاطباء بانكم اذا لم ترجعوا
عن شرب الخمر فما قليل لتصبحن هالكين فلا يلتفتون الى
قول الاطباء ولم يزالوا مصرين على شربه الى اخر رمق من حياتهم
وقد شوهد في الخلق من هذا النوع كثير لا يعد ولا يحصى فعلم
من هذا ان كل من كان حريصا على شيء وقد حصل له الادمان
في ذلك يكون من هذا النوع نعوذ بالله من ذلك ٥ ٥ ٥

ثم ان هذه الطائفة وان تعسر عليهم الرجوع عما هم عليه من الانهماك لكن عظم ذنب [illegible] يعلمون [illegible] تغيير [illegible] فاصلاح هؤلاء الطائفة اصعب من اصلاح اصحاب المرتبة الاولى لان فی اصلاح هؤلاء وظيفتان الاولى هو اخراج ما فی قلوبهم من الفساد الذی اعتادوه وقد رسخ فيهم لكثرة ارتكابهم به والوظيفة الثانية هی غرس الصلاح فی قلوبهم وتمكنه فيها وارشادهم اليها وفی الجملة هذه الطائفة هی محل لقبول الرياضة المرتبة الثالثة لها طائفة اعتقدوا بالاخلاق الردية والافعال الباطلة انها الحق فتكررت اسباب الضلالة فيهم فاصلاح هؤلاء الطائفة مشكل جدا الا اذا احضرتهم العناية والهداية الالهية وصحبتهم التوفيق الربانی ٥٥ المرتبة الرابعة لها طائفة نشأوا على فساد الرای واعتادوا العمل بذلك الرای الفاسد مثلا الصبی منهم اذا فتح عينيه يرى ابويه وسائر اقربائه منهمكين بالفسق والفجور فيسلك مسلكهم ويرتكب انواع الخبائث ويعد قتل النفس واكل مال الناس وهتك اعراضهم انها فضيلة ويفتخر بها فاصلاح هؤلاء الطائفة يتعسر ادخالها الا اذا ساعدتهم العناية وصحبتهم التوفيق الالهی فعلمنا من ذلك ان طائفة المرتبة الاولى من الطوائف الاربعة المذكورة هی جامعة لصفة الجهل فقط والطائفة الثانية جامعة لصفة الضلالة فقط والطائفة الثالثة جامعة لصفة الضلالة والفسق معا واما الطائفة الرابعة فانها جامعة لصفة الجهل

والضلالة والفسق والشر ٥٥ ولنرجع الى الطائفة التی تدعی بان الاخلاق الانسانية لا تقبل التغيير مادام فی قيد الحياة كالشهوة والغضب وحب الدنيا وما اشبه ذلك من الاخلاق فهذه الدعوى باطلة بالاصالة لان هؤلاء الطائفة قد ظنوا ان فی الوجود من يدعی بان الاخلاق الانسانية قد يمكن ازالتها عن الانسان بالكلية كما يقلع الانسان الشجرة من الارض باصولها وعروقها ويلقيها والحال ليس فی الوجود من يدعی ذلك ولا يمكن ان يدعيها احد لان الشهوة قد خلقت فی الانسان لفائدة ضرورية فاذا زالت شهوة الطعام مثلا عن الانسان بالكلية فلا يعيش ذلك الانسان بل يموت فی اقرب وقت فالذی يسعى فی ازالة شهوة طعام انسان بالكلية فيكون قد سعى فی قتله لا فی اصلاحه فكل من قطع وازال شهوة طعام نفسه فهو قاتل نفسه وكل من قطع وازال شهوة طعام غيره فهو قاتل غيره ٥ وكذلك شهوة الجماع فلكونها لعدم انقطاع النسل الانسانی فبتقدير انقطاعها وزوالها عن الانسان بالكلية فيكون قد انقطع نسل ذلك الانسان بالكلية وكذلك اذا ازالت قوة الغضب عن الانسان بالكلية فلا يبقى فيه قدرة لدفع العوارض التی توجب هلاك ذلك الانسان كمن هجم عليه عدو ليقتله او صال عليه سبع ليفترسه فاذا لم تتحرك فيه قوة الغضب لدفع ذلك عنه هلك لا محالة ٥ ومادام ان الشهوة

باقية في الانسان لاتزول عنه بالكلية فدواعيها ايضا باقية
والحاجة لها طبيعية ضرورية وهذا المال ۰ فنقل من قال فزالت
شهوتي وغضبي وحبي للمال فقد كذب لاننا لسنا مكلفين
لا شرعا ولا عقلا بازالة شهوتنا وغضبنا عنا وحب المال
عن قلبنا بالكلية بالمجاهدات والسعي كما تزال الكتابة
عن القرطاس بالاسفنج بل المطلوب منا ان تكون فينا هي
على حالة الوسط بين الافراط والتفريط يعني ان لاتمكنها
من ان تاخذ زمام اختيارنا من يدنا ولا نجعلها ايضا تحت قهرنا
بحيث لا نبلغها حد الاعتدال ۰ والامر المطلوب من صفة
الغضب هي الحمية وهو ان لا يصول الانسان على شئ بلا تامل
ولاملاحظة وان لا يكون جبانا بحيث يخاف من ادنى شئ
وان يكون قوى النفس في الجملة ومع وجود تلك القوة ان
يكون مطيعا ومنقادا للعقل ولذلك ورد في القران العظيم
في حق الغزاة اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم الله
بالشدة والشدة من طبعها لا تصدر الا من الغضب فلو كان
الغضب باطلا لكان الجهاد كذلك باطلا قال الله تعالى والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ
وقد يمكن رد صفة الشهوة والغضب الى حال بحيث لا تغلبان
على العقل بل العقل يكون غالبا عليهما وضابطا لهما ولو ان
الشهوة والغضب اخذتا بالتربية من ابتداء حداثة سن الانسان

لاشك

لاشك في اصلاح حاله وتغيير اخلاقه الى احسنها وقولنا بان
الاخلاق تتغير فهو عبارة عن التفصيلات المذكورة والا فهو
ازالتها بالكلية كقلع الشجرة من اصلها فلا لكن لابد من الفرق
بين من نشا على سيئ الاخلاق من حال صغره وبين من اتصف
بها واستقرت في طبعه بعد كبره فانه شتان بين هذا وذاك
وادعاؤنا بان الاخلاق تتغير فهي بالدرجات فلازم لكل
انسان من زمان على حسب ممارسته فيه وقد اورد العقل
المقالات التي ذكرناها من باب النصيحة للنفس وختم كلامه
بقوله واذا اراد الانسان الخلاص من اخلاقه الذميمة بالكلية
وسعى لها سعيها فان لم يتيسر له ذلك بالكلية فلابد من حصول
مطلبه ونيل مراده ۰۰ في بيان عاقبة العشق والغرام ۰۰
قد ذكرنا في اول هذه الرسالة ان النفس في اوائل حاله لما توجه
مع الجهل والشهوة الى المنتزه المسمى بالتشويق ثم دخل قصر
الهوى ومنه الى الحجرة المسماة بالعشق والغرام وكيف
لما عشق الجارية المعروفة بالحسن وكيف دخل عليه العقل
واخرجه من ذلك المحل بالجبر والاكراه وكيف طرد الجهل عنه
بالكلية لانه كان قد افسد النفس وكيف اسقط الشهوة
من عينه وكيف انكسر اعتباره عند النفس ايضا وكيف لما مال
النفس بعد ذلك الى المدام صار للشهوة اعتبار عنده بواسطة
المدام برهة من الزمان وكيف لما مات الشباب سقط الشهوة
من عين النفس ثانيا وكيف الشهوة لما راى نفسه محقرا عنده

النفس وساقطا من عين العقل لزم الخمول وجلس في زاوية
من زوايا النفس واسفا على ما كان فيه من العز والقبول
فبينما هو على ذلك الحال اذ دخل عليه يوما من الايام شخص
كان يوده سابقا يقال له الاشتياق وهو صاحب حركة وشطارة
فراى الشهوة في ذلك الهم والغم فسأله عن سبب ذلك
متأسفا عليه فاخبره الشهوة بالقصة وما جرى عليه وانه مطرود
العقل ومحقرا ضا عند النفس فقال له الاشتياق لو اخبرتني
من ابتداء الامر لساعدتك على مطا[illegible]لك ثم وعده ببلوغ المرام
وخرج من عنده وتوجه الى الجارية المسماة بالحسن وحسن لها ان
تكتب كتابا للنفس تذكر فيه الوعد الذي سبق منها له بالوصال
وتهييج ما بمهجته من الغرام الذي كان ساكنا وكامنا لمرور الايام
والليال فكتبت له ذلك الكتاب فاخذه الاشتياق ووصل به
الى النفس فلما راه النفس خفق قلبه واضطرب فؤاده
فقال له من انت ومن اين اتيت قال انا خادم الجارية هي
المعروفة بالحسن وقد اتيتك بكتاب منها فلما سمع من الاشتياق
ذكر الحسن تذكر محاسنها وما جرى له معها وما قاساه في هواها
وتحركت فيه المحبة الكمينه وهاج الغرام المستكن في احشائه
ففض الكتاب وقراه فاذا فيه شكوى حال من محب الى حبيبه
وهو من حيث ان لنا مدة لم نتشرف برؤية جمالكم فصرنا نتذكر
محاسنكم ونتسلى بذكر اوقات الانس والسرور التي مضت
وساعات المحبة والمودة التي سلفت بكم كما قال الشاعر

دعى الله ايا ما انقضت بقربكم ۝ فما كان احلاها وما كان اصفاها
فبينما نحن على هذا الحال اذ خطر بالبال ان نحرر لجنابكم كتابا فيه
ما يفصح عن تفصيل ما عندنا من الاشواق لكن توقفنا في امر الرسول
الذي نرسله اليكم فنادت الروح من الاحشاء وهي تقول انا ذلك
الرسول كما قلت في ذلك شعر ۝ رسالة اشواق فلما كتبتها
تمنيت من يحظى بتبليغه الاجرا ۝ فنادت من الاحشاء روحي انا التي
احق بان احظى لاني به ادرى ۝ فاردنا ان نرسل الروح كما
رغبت في ذلك لكن تقدم خادمكم الاشتياق وقال انا اتشرف
بهذه الخدمة فارسلنا معه الكتاب فنقول انه من بعد ارتباط القلوب
بحبل المحبة وهذه المباعدة الصدرية لم نخطر في بالكم ولم يجر ذكرنا
على لسانكم كاننا بين شفتيكم حرف الوفا كما قلت في ذلك شعر
نسيتم ذكرنا لم تذكرونا ۝ كانا عندكم حرف الوفاء ۝
فنحن وان لم نحظ منكم بسلام ولا بسؤال خاطر الذي هو من
المعاملات العادية بين الناس لكن لم نزل باذلين الدعوات
الخيرية بدوام بقائكم ومبادرين بتحصيل كمال الانبساط بذكر
محاسنكم ومكتسبين غاية السرور والنشاط بملاحظة عودكم
ورؤياكم انتهى ۝ فلما قراه ووعاه وفهم مضمونه ومعناه
ارتعشت مفاصله وارتعدت فرائصه ونظر الى الاشتياق
نظرة فوقع مغشيا عليه فلما راى الاشتياق ما حل بالنفس
من الاشواق القى اليه عبارات شفاهيه تتعلق بمحبوبته حركت
بها جنونه وهيج شجونه ثم لما خرج من عنده صادف الشهوة

واقفا عند الباب فاخبره بجميع ماجرى له مع النفس ففرح الشهوة
بذلك وقال فى نفسه قد جاء وقت حلولى بالنفس كما كنت سابقا
فقام وتزين باحسن زينة ثم تعطر وتبخر ودخل على النفس وهو
فى حالة لا توصف وفى زى لا يعرف من استيلاء الحب والغرام عليه
فلما راى الشهوة فى زى غريب وقالب عجيب نظر اليه بعين القبول
واظهر له كمال السرور وتبسم فى وجهه واقبل عليه فلما راى
الشهوة ماحصل له من جانب النفس من الاقبال بعد طول الهجر
والتحقير صار يرشقه بسهام الحاظه ويلقى اليه من سحر الفاظه
ثم قال له ياسيدى رايت شخصا جالسا فى الصفة قد اتى
اليكم بكتاب وهو ينتظر منكم الجواب فلما سمع من الشهوة ذكر الكتاب
لم يتمالك فنهض قائما وخرج من المجلس الى الصفة فراى الاشتياق
جالسا ينتظر الجواب كما اخبره الشهوة فقال للاشتياق ها انا هو
الجواب هيا بنا نذهب الى الحبيب ثم مشى نحو قصر الهوى فتبعه هو
الشهوة والاشتياق فلما وصلوا الى القصر صعدوا من السلم
الى الصفة المعهودة ووقفوا عند باب حجرة العشق والغرام
فاخذوا رخصة الى الدخول على الحسن بواسطة الاشتياق فلما
دخلوا الى الحجرة نظر النفس يمينا وشمالا فلم ير الحسن غير انه
راى ستارة مسبولة على نصف الحجرة فسئل الاشتياق عن تلك
الستارة فاخبره بان الحسن قد تغير حالها لمرور الازمان
ولاجل ذلك دخلت وراء الستارة فلا يمكن الاجتماع بها
الا من وراء هذه الستارة فقال النفس وكيف ذلك اليس

لى الوصول اليها والنظر الى وجهها فاجابه الاشتياق بان الامر
يحتاج الى الاذن منها فعند ذلك تقدم النفس الى الستارة وقال
ياحسن فاجابته من وراء الستارة بقولها لبيك يانفس
تفضل ياحبيبى اهلا وسهلا ومرحبا فقال لها ماهذه الستارة
اما يكفينى ماقاسيت من الم الفراق والان تريدى ان تحرقينى
بنار الهجر والاشواق فاجابته ° مصرع ° ° °
لم تسل عنى وعن حالى فانت الظالم ° وقالت لو لم ارسل اليك ذلك
الكتاب لما اتيت الينا ولا خطرنا فى بالك فلما سمع النفس منها
هذا الجواب لم يبق فيه مجال على الاصطبار وشرع يتخضع لها
بالاعتذار وقال ان كنت قد قصرت فى ارسال رسائل المعودة
لكن لم ازل اسير هواكى وقتيل معناكى وان العقل الذى هو
الوصى المجبر على فلم ازل فى قبضته وممنوع من جهته عن الوصول
اليك فالتقصير الذى وقع منى فى هذا الخصوص كله ضرورى
ليس باختيارى لانى كنت دائما اتمثل بقولى ——
لو ان ضوء الشمس مع نور القمر ° قد زالتا بالمحو عن كل الوجود
فضياء حسنك عن عيونى لم يزل ° وبروق شوقك فى الحشا ذات الوقود
والان حيث انى من فرط الغرام لم ادر ما اقول فالذى مضى فقد
مضى فارجو عفوك واتمنى لطفك ولا تواخذينى بما حصل
فلم ترجع الحسن عن التيه والدلال بل قالت له ليس فيك اثر
من الوفا وانما هذه التملقات والتبصبصات عبارة عن اجراء
ما فى ضميرك من الغرض وبلوغ المرام ° واما النفس فانه كلما

راى تلك الجفوة من محبوبته وشاهد اثار القسوة من هنية قلبه
صار يتقلب من حال الى حال ويضطرب مما فى لجته من حرص الوصال
فقال يا حسن مادام ان حالك مقرون بالجفوة وقلبك مملوء من
القسوة وكان مرادك تلقينى فى اودية الحرمان وتغرقينى بنار
الهجران فلاى شئ رميتينى بسهام الحاظك وسحرتينى بسحر الفاظك
من ابتداء الامر اما يكفينى ما قاسيت من الاشواق فى زمان الافتراق
وتعذبينى الان عند الوصل والتلاق اليس انت طبيبتى وفى الورى
حبيبتى اما عندك من دوا لداء وجدى والجوى وفى ذلك اقول
صدرت ارادتك السنية اننى ° اقضى اويقات الزمان غراما
لما امتثلت اصابنى من هجركم ° مالم اصف فاعذرى صباً هاما
فها انا قد اتيت بجسمى العليل الى دار شفاء المحبين والعشاق
والتجات بفسيح رحاب من هو ملجأ كل محب مشتاق وختم كلامه
بقوله شعر الطاعة فرض تلطف او جفا ° ومشربه عذب تكدر او صفا
وكلت الى الحبيب امرى كله ° فان شاء احيانى وان شاء اتلفا
فلما لم يسمع من الحسن جواباً موافقاً لمطلوبه تقدم الشهوة اليه وقال
ولاى شئ تطيل معها الكلام ارفع الستارة وادخل عليها والسلام
فاستحسن كلام الشهوة وقال فى نفسه من راقب الناس مات هماً
وفاز باللذة الجسور فتقدم الى الستارة ورفعها ودخل على
الحسن فلما نظر اليها راها على خلاف ما كانت عليه من الملاحة
والجمال لانه لما احبها وعشقها قبل ثلاثين سنة كانت بنت
عشرين سنة وكانت فائقة زمانها ووحيدة عصرها واوانها

واما الان

٣٣

واما الان فقد زالت ملاحتها وذهب رونقها ولم يبق فيها من
الجمال اثر كان خديها الانور جلد مدبوغ وجبينها الازهر نعل
مصبوغ وقد ابيض شعرها الاسود واصفر لونها المورد حتى
صارت عجوزة معتوهة ولكل القلوب مكروهة فاعرض عنها
النفس ولوى وجهه قائلاً اتيت بمثلك يا زمان وهذا فعلك
بالانسان وخرج مسرعاً من الحجرة وهو يعاتب نفسه وقد انطفت ما
بمهجته من النيران فى الحال ° واختفت تلك الخيالات التى كانت
بناظريه لذلك الجمال ولما صار خارج الحجرة واذا بالعقل قد اقبل
عليه لانه كان اخبروه بان النفس توجه نحو الحسن فجاء مهرولاً
اليه فلما وصل الى ذلك المحل راى النفس خارجاً من عند الحسن
فقال له يا نفس ماذا فعلت فاجابه بقوله شعر
لما علمت الحب فيه مضرة ° للعاشق الولهان فى وادى الغرام
قد كان محبوبى تملك مهجتى ° فاخذتها وارحت نفسى والسلام
فلما سمع العقل منه هذا الجواب فرح بذلك فرحاً شديداً ثم اخذ
النفس وتوجهوا الى محلهم فلما وصلوا واستقر بهم الجلوس
شرع النفس يخبر العقل بما جرى عليه وما قاساه وكيف كان
عدوله عن الحسن عندما راها قد صارت عجوزة شمطاء كالحية الرقطاء
فعند ذلك بادر العقل الى الكلام فى معرض النصيحة وقال
يا نفس انت لما رايت الحسن وعشقتها كانت بنت عشرين سنة
والان بلغت من العمر خمسين سنة فتحول رونق حسنها وطراوة
بدنها وبهاء جمالها الى ما قد رايت ثم بعد مدة تصير تراباً تحت الارض

وهكذا جميع لذائذ الدنيوية الفانية والحظوظ النفسانية الزائلة
نجم الحسن التى كنت رايتها وعشقتها هو الان ذلك الجسم
لكن لما تحولت وانقلبت بانقلاب الزمان صارت الى ما قد رايت
فالزمان الذى كان اوقعك فى شرك هواها هو الذى اطلقك الان
من قيد اسارتها وسجن جواها وان الحال الوجدانى الذى يقال له
العشق قد كنت ابتليت به والان قد نجوت منه فليس هو فيض
ربانى ولا كرامة الهيه وليس هو الكيفية التى يسمونها الطائفة البطالين
بالوجد والحال بل هو قسم مذموم من الاقسام التى تورثها افراط
الشهوة وحاصله هو حصر الشهوة فى مادة معينة وليس العشق
المجازى خلاف ما ذكر كما هو معلوم عند ارباب الحقيقة ومرض العشق
للانسان ليس له حد ولا ميزان والذى يفنى عمره فى ذلك فهو مع
كالمجنون الذى قد خلع جلباب العار والتحق بالاراذل وخرج يمشى
فى الازقة يجر السلاسل والاغلال ٥ ٥ وبتقدير وقوع الانسان
فى شرك العشق بلا اختيار فينبغى له ان يتفكر ما يتحصل منه هل
هو من اثار غلبة الشهوة ام غير ذلك وهل ينتج له من ذلك
فضيلة من فضائل الانسانية ام هل تبقى فى يده منفعة من منافع
الدنيوية والاخروية لان الانسان اذا اراد الشروع فى تحصيل علم
من العلوم او الى صنعة من الصناعات ينبغى له اولا ان يشخص
فى فكره ما ينتج له من تحصيل ذلك العلم او الصنعة ثم يشرع فى التحصيل
فليت شعرى ما الفائدة التى يلاحظها العاشق فى سلوكه مسلك العشق
فاللائق بمن جرى عليه قضاء علة العشق ان يبادر اهله بمعالجة خلاصه

واطلاقه

واطلاقه من ذلك القيد وان تركوه على حاله فيعقبه امّا زوال العقل
او الهلاك ٥ وعلاج ذلك هو صرف افكاره وتحويل ميله عن
المعشوق ثم الاشتغال بتحصيل العلوم والمعارف كى يحصل السلوان
قال بعضهم ان العشق ينقسم على قسمين مجازى وحقيقى فالمجازى
هو الميل والركون الى المحبوب والنظر بمطالعة انوار الجمال البهى وتنوير
القلوب ٥ والعشق الحقيقى هو الحال والوجد الذى يحصل للعاشق
بعد استغنائه عن العشق المجازى بحيث اذا تفكر فى هذه
المصنوعات والمكونات وفى ملكوت الارض والسموات يتحقق
انها هى صنع المبدع الحقيقى واثاره الجليله فيقول الله ولا سواه
ثم يغرس فى روضة حاله وقاله شجرة الفكر والذكر التى ثمرتها
الفيض الالهى ثم يترقى الى درجة بحيث اذا نظر الى اى شئ
والى اى صورة يقول هذا من اثار صنع الصانع الحقيقى فكلما هو
نظر الى نقوش تلك الاثار صار حيرانا ومن حيث ذلك التفكر
والتذكر نشوانا فاذا اتصف العاشق بهذه الصفة ووصل
الى هذا المقام يقال له العاشق الحقيقى ويقال للمحبة المؤثرة
التى فى قلبه العشق الحقيقى ولا يتصف الانسان بهذه الصفة
ولا يبلغ هذا المقام الا من بعد ادراك السر العظيم الموضوع
فى جميع الاشياء سواء كانت من ذوى العقول او من سائر ذوى
الارواح والجمادات ويعرف انها هى صنع الصانع الحقيقى
واثاره الجليلة ويستدل بان المراد من النقش النقاش ومن
الاثر المؤثر وان يحصل لسان حاله وقاله الوجدانى بنداء يا كريم

ولاينال هذه المرتبة الا الذى سلك هذا الطريق وكان بحسه
وادراكه الذى هو نقش صحيفة ضميره منوطة الى الذوق اللدنى
وهذا الذوق لابد من ان ينضم اليه سلوكه بخلوص النية على
الاستقامة التى هى فى خلقته الاصلية فعلم من هذا البيان ان هذا
الطلب ليس كالطلب الذى فى العشق المجازى وان النسبة الحقيقية
التى بين الحال المسمى بالعشق المجازى وبين العشق الحقيقى
غير ثابت ولا متحقق فاذا كان الامر كذلك فالمعنى الذى فى تركيب
قولهم المجاز قنطرة الحقيقة فهو عبارة عن ان يطلق على شخص
كان مالوفا بالتلويثات المجازية ثم عدل عنها وتوجه بكليته
الى عد الحقيقى فصار مظهرا للحقيقى يعنى ان الرذائل الجسمانية
والغوائل النفسانية هى حائلة بين الانسان والحقيقة فينبغى
تركها والعدول عنها حتى يصل الى الحقيقة كمن كان على شاطئ
نهر واراد ان يكون فى الجانب الآخر فلا يتمكن من ذلك حتى
يجوز الجسر يعنى قنطرة ذلك النهر فهذا معنى المجاز قنطرة الحقيقة
والا ليس كما تزعم الطائفة البطالة بان معناه ان يهوى
الانسان الوجوه الحسان وان ينظر اليهم بعين الشهوة
وان يتخذ انواع الوسائل الخبيثة لاجل جلبهم وتقربهم الى
افكاره الفاسدة وان تبدو منه كل يوم انواع الرذائل ليكون
قد جاز القنطرة المجازية بذلك ووصل الى الحقيقة فحاشا
ان يكون الامر كذلك وهو خطأ عظيم منهم فالعاقل الذى فيه
القابلية لسلوك طريق العرفان وهو مطلق العنان اذا ملك

والغوائل

اختياره

اختياره وانقاد لعقله فلا يرذل نفسه ان يعشق غلاما فاسدا
ويضيع اوقاته فى هواه ولا يكلف نفسه بالتلويثات التى
لا طائل تحتها ولا ثمرة فيها ۝ لكن اذا نظرنا بعين العدل
والانصاف ينبغى ان نقول ان القوة الجاذبة المغناطيسية
التى اودعها الله فى الوجوه الصباح والخدود الملاح من طبعها
ان ينجذب اليها الانسان ويميل اليها بالقلب واللسان
لان السيالة البرقية الهوائية المودوعة بتلك القوة الجاذبة
تسرى الى مفاصل العاشق واعصابه وعروقه فيظهر له فى
كل نظرة اثر جديد ووجد ما عليه من مزيد فاذا كان الامر
كذلك فمن ابتلى بهذه البلية ينبغى له ان يلاحظ ما يؤول
امره اليه مع تلك البلية من الجنون او الهلاك فيسعى ويجتهد
بكل تمكن فى استئصال وسائل انقطاعه وسلوه عنه لاجل
محافظة نفسه من تلك الورطات ومهالك المهلكات
واذا عجز عن ذلك بنفسه وانفلت عنان اختياره من يده
فيجب على من يلوذ به من الاهل والاقارب والاخوان
ان يتداركوا امره ويغتنموا اجره ۝ اما الذى يبتلى بتلك
البلية لكنه يعتقد فى تلك التلويثات والاشتهاءات النفسانية
انها حرام جدا ويمنع نفسه عن اغراضها الفاسدة ويبقى سالم
الذهن والفكر بحيث لا يتعطل عن اشغاله ومصالحه الضرورية
ويؤدى ما وجب عليه من التكاليف الشرعية والوظائف
الانسانية فحينئذ لاحرج على ذلك العاشق لانه يأمن

بمشاهدة موائد الجمال حصول ذائقة الفساد ويسلم من ارسال
صبره وشعوره الى الحراج والمزاد ٥ فلما اورد العقل
هذه النصايح للنفس ختم كلامه بقوله لكن يا نفس قلّ
ان يوجد من يعشق الملاح والوجوه الصباح ويامن ورطة
الشهوة وقلّ ان يوجد من يسلك طريق المجاز ثم يصل الى
الحقيقة ٥ فلما سمع النفس من استاده العقل هذه المقالات
حمد الله واثنى عليه على خلاصه من تلك البلية ٥ ثم بعد
مضى مدة من هذه الوقايع كان النفس يوما من الايام جالسا
فى محله مشغولا بمطالعة كتبه اذ غلب عليه النوم فنام ساعة
فراى فى منامه عالم المثال فجال فى فضاء الملكوت وتفرج
على ما فيها واطلع على عجايبها فلما استيقظ من نومه راى
نفسه واقفا على ساحل من سواحل البحر يقال له الحرص
فحار فى امره وصار ينظر يمينا وشمالا فلاحت منه التفاتة
فراى موقعا مزدحما من الخلق يقال لذلك الموقع الافكار الدنيوية
فدخل فى ذلك الازدحام وصار يسئلهم عن طريق السلامة
واحدا واحدا فلم يرشده احد منهم بل ولا عرفوا المحلات التى
سئلهم عنها فلما آيس منهم تقدم الى المرسى ونزل فى
سفينة كانت حاضرة ومتهيئة للسفر يقال لها سفينة الارتكاب
فسلم الاجرة وجلس فيها فلما سارت بهم برهة من الزمان
اذ طلع عليهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان
حتى انكسرت السفينة وغرقت وغرق من فيها من الركاب

فوقع فى يد النفس لوح من الواحها فركب عليه ولم يزل سائراً
على ذلك اللوح الى ان القاه على طرف الساحل فخرج من الماء
وهو على اخر رمق من الحياة وصار يدور ويلتفت يمينا وشمالا
فبينما هو على ذلك الحال اذ لاحت له مدينة عامرة فتوجه نحوها
فلما وصل اليها دخلها فراها مدينة عالية البنيان شامخة الاركان
فوقف ينتظر السلام والرعاية والاحترام من اهلها فصادفه
رجل منها فسلم عليه ورحب به وسئله عن حاله وعن سبب
وصوله الى هذه المدينة فاخبره بجميع ماجرى عليه من المصائب
وبانّ سائق القضا قد ساقه الى هذا المكان وبانه غريب
لا يعرف احدا ولا يعرفه احد من اهل هذه المدينة فقال له ذلك
الرجل اذاً قد وجب علينا ان ناخذك الى منزلنا ونجرى لك مراسم
الضيافة ثم اخذه من يده ومشى به الى منزله فوصلوا الى باب
مضبوط كبير فدخلوا منه الى المنزل فامر الاتباع الحاضرين بالقيام
فى خدمته واكرام نزله فوق العاده ودخل هو الحرم كعادة
الاكابر فاخذوا النفس وادخلوه قاعة من القاعات فلما هو
نظر الى تلك القاعة وتامل فى مفروشاتها وتزييناتها وتذهيب
سقفها وجدرانها والوان منقوشاتها وامعن النظر فى ملاحة
الخدامين القائمين بالخدمة ورونق حسنهم وبهاء جمالهم
حيث كان كل واحد منهم يخجل البدر بطلعته وتغبطه الشمس
عند رؤيته مع سائر العجائب والغرايب التى بتلك القاعة هو
تحار فى امره واندهش مما راى وصار يقول فى نفسه ليت شعرى

كيف يفعل الضيف عندهم وما طريق سلوك الادب والتعظيم
فى قوانينهم فبينما هو فى ذلك الفكر اذ احاطوا به الغلمان
والوجوه الحسان واماطوا ما بينهم وبينه من التكليف هم
وازالوا عنه الوحشة والرعشة والامتنان واصطفوا بين يديه
برسم الخدمة فلما راى ما صار له من الرعاية ومزيد الاعتنا فى شانه
استبشر بكل خير واطمئن خاطره وزال عنه الوسواس بما حصل
له من الاستيناس فعند ذلك سأل بعض الغلمان عن رب المنزل
وقال اخبرنى عن سيدنا وولى نعمتنا من هو هل هو من الامراء
الكرام ام من الملوك والسلاطين العظام فاجابه المسئول
بان هذه المدينة يقال لها مدينة الغفلة وان صاحب هذا المنزل
هو ملكها والقائم بامرها وهو سلطان عظيم القدر والشان اسمه الخوليا
يضرب المثل بسخائه ومحسود ملوك الارض بعطائه خرج هذا
اليوم متنكرا يمشى فى المدينة ليتفقد احوال الرعية فصادف وصولك
اليها فلما علم بانك غريب هذه الديار فاتى بك الى قصره وكرسى
مملكته ليبالغ اليك بالاحسان ويبلغك الاوطان فلما سمع هو
النفس من الغلام ذلك الكلام حصل له السرور التام وايقن
ببلوغ المرام وكان من داب الملك المشار اليه وعادته القديمة
هو مغبوط ملوك الارض بالطول والعرض من حيث جوده وكرمه
وكهف الامان لمن لاذ ببابه والتجا بجنابه فالكل مستغرقون
بعوائد لطفه ونعمه ومع كثرة الواردين الى فسيح رحابه يعطى
لكل واحد منهم محلا مخصوصا وياتيه فوق ما يشتهيه ويزاد فى اكرامه

ويبالغ فى احترامه ٥ فبينما النفس جالس ومترفه فى ذلك القصر
ومنعم فوق الحد والحصر اذ ورد يوما من الايام من جملة الواردين
شخص يقال له طول الامل فاجتمع بالنفس وانعقدت بينهما
الصحبة والالفة وصار طول الامل يحكى للنفس ما راه فى اثناء
سياحته فى البلاد من العجايب والغرايب حتى قال له ان خلف
هذه المدينة قلعة حصينة اسمها قلعة الخسران وفيها غار عجيب
اسمه الكذب وذلك الغار مملوء بالكنوز والدفاين المطلسمة
بحيث لا تفنى ولا تبيد وان تلك الكنوز والدفاين فى قعر تلك
القلعة وان الطريق الموصل اليها مهول ومخوف للغاية لا يمكن
الصعود اليها الا بشق الانفس وان تحت تلك القلعة افعى
ذات هول مهول بالسحر اسمه الحرام وان باب القلعة فم ذلك
الافعى وان هذا الخبر مروى عن الثقة لكن لا نعلم بان شخصا
دخل تلك القلعة ثم خرج منها بل كل من دخل لا يخرج ابدا واظن
ان عدم خروج من يدخلها لاستغراقه فى لذاتها وحلاوة مذاقها
فلما سمع النفس هذه الرواية من طول الامل تشوق الى دخول
تلك القلعة وقال فى نفسه لو لم تكن هذه الرواية صحيحة لما
بلغت حد التواتر فاخذ الرخصة من صاحب المنزل وتوجه نحو
القلعة فلما وصل اليها واراد الدخول من بابها الذى هو فم الثعبان
ذات الهول هل راه اهل المدينة التى يقال لها مدينة الاستقامة
دون موقعها كان بقرب القلعة فمنعوه عن الدخول وقالوا له ان
هذا الامر مجهول ومحل الهلاك وعدم رجوع من يدخل فيها دليل

على من سلك هذا الطريق فهو عديم الادراك وهل يمكن حصول
الشفاء من سم الثعبان فلم يلتفت الى كلامهم بل تقدم الى فم
الافعى وهو فاقد الحس والشعور ودخله وصار يمشى فى
الدهليز الذى هو حلق الافعى من بين معادن السموم ومخازن
الاكدار والهموم ولم يزل سائرا فى تلك المهاوى والمهالك
الى ان خرج من الجانب الاخر وهو على اخر رمق فنظر فاذا هو على
شاهق جبل قد قارب السحاب واسفل الجبل ساهرة غبراء وفوقه
جو السماء وحيث ان سموم وهموم الافعى لم يبق فيه حس ولا
ادراك فزالت رغبته التى كانت لتلك الدفاين والكنوز ولم يجد
وقتاً للسوال عن شئ من تلك الاشياء خوفا على روحه وصار
يبكى وينادى على نفسه ويتاسف على فقده لا بناء جنسه وبقى
حائراً هائماً فى تلك المفاوز المنقطعة والمهاوى الخطرة اذ
ليس فيها ما ياكل ويشرب ولم يجد ايضا ماوى ياوى فيه فيئس
من حياته وايقن بحلول مماته فبينما هو على تلك الحالة اذ خطر
فى باله ان يخاطر بنفسه مرة اخرى ويدخل فم ذلك الثعبان لربما
يهتدى الى الطريق الذى جاء منه فرجع فصار يجرى ويهرول يمينا
وشمالا طالبا لتلك القلعة فلم يهتدى اليها فجلس متحيراً فى
امره ولم يجد من يتوجع على حاله سوى قلبه ولا باكيا على ما
قاساه غير عينيه ورأى فى ذلك المحل عظاما كثيرة ملقاة على
الارض فاستدل بها على ان كلا من صعد اعلا تلك القلعة لا
ينوبه الا الهلاك والدمار ويفنى خزائن عمره فى هاتيك الديار

لكن من

لكن من كون ان الانسان يتجدد فكره فى كل نَفَس والروح التى لم تخرج
من الجسد يومل بقاؤها فبهذه الحيثية لم ييأس من فرج الله
كل اليأس بل توجه الى الله بقلبه وتوكل عليه وازال ما به
من الوسواس والاوهام وصار يدور على ذلك الشاهق
فلم يجد بدا من ان يلقى نفسه من اعلا الجبل وقال اما ان انجو
واسلم من هذه الداهية او ان اموت واستريح من هذه الدنيا
الفانية ثم تقدم الى طرف الجبل وغمض عينيه وفوض امره
الى خالقه وجعل اعتماده عليه والقى نفسه فصار يهوى
وينزل تارة راسه وتارة رجلاه فغاب عن الحس والادراك
قبل ان يهبط على الارض من شدة الهول والاضطراب
ثم هبط وهو لا يدرى ولا يشعر ونام مدة وهو غايب
عن الوجود فلما استقر جسمه وارتاح بدنه من الم الرض
والخض ومصادمة الاحجار والاوعار فتح عينيه وقام
على قدميه والتفت يمينا وشمالا فرأى نفسه فى صحراء واسعة
الاطراف وهو ملقى على التراب فمشى الى جهة من الجهات
فاحس فى جسمه الم الجروحات مما قاساه من تلك الصدمات
ولم يزل ماشيا الى ان وصل الى شاطئ نهر يقال له نهر التوبة
ففرح بذلك فرحا شديدا لانه لما القى نفسه من قلعة الخسران
حصل فى اعضائه بعض خلع وكسر وسالت منه الدماء فتلوث
بدنه وثوبه فنزل فى ذلك النهر لاجل التطهير تائبا مما جنته
يداه من الخطا والتقصير فغطس فى الماء ثم خرج فاذا هو

فى بركة ماء مبنية من المرمر يقال لها بركة النجاة وتلك
البركة فى وسط بستان كانه قطعة من الجنان يقال له
بستان السلامة فلما خرج من تلك البركة شاهد فى جسمه
اثار القدرة وفى قلبه كمال الراحة والحضور فغلب عليه النوم
الذى هو علامة العافية فنام ساعة ثم لما استيقظ وفتح
عينيه فاذا هو فى وطنه الاصلى ومحله القديم ورأى استاده
العقل جالسا عند راسه فاضحى النفس بهذه النشئة
العجيبة سكرانا ومن هذا السر الغريب حيرانا وصار يتفكر
فى تتابع وقوعاته السابقة وايقن بانها قد هذبت اخلاقه
واصلحت احواله لانه لما كان فى بداية امره لا يعرف ولا يفهم
شيئا كان يظن فى نفسه وجود المعرفة والكمال لكن الان
قد ثبت عنده مقدار نفسه وعلم من اين اتى والى اين يذهب
وعرف الحكمة الالهية والسبب فى مجيئ المخلوقات الى الدنيا
ورجوعها ثانيا ومستقرها فى تلك الدار وعلم كذلك مقدار
بقاء اللذات الفانية ومضرات الكذب والغفلة وسائر
المحرمات حتى صار مظهرا لسر قوله عليه السلام من عرف
نفسه فقد عرف ربه وكذلك سابقا لما كان فى سكرة الجهل
لا يميز الارض من السماء ومع ذلك كان يعجب فى نفسه
ويقول انا انا وليس غيرى واما الان حيث قد وصل الى
الصحو التام واستيقظ من ذلك المنام فاقام نفسه مقام
التراب بين يدى الاصحاب والاتراب ۞ فعند ذلك تقدم

العقل

العقل اليه وقام بين يديه بكمال الخشية والادب وخاطبه
بالخطاب الاتى ذكره وهو ۞ يا نفس يا من قد حاز مقام هو
الفضل والعرفان ونال منزلة الوقوف والاطلاع على حقايق
الاكوان تعلم انى لم ازل مجتهدا فى امر تربيتك وقاسيت هو
ما قاسيت حتى خلصتك من ورطات الحظوظ النفسانية
وعلمتك طريق الاداب والكمالات الانسانية وقطعت بك
المراحل مرحلة بعد مرحلة الى ان بلغت منزلة ما بعدها منزلة
وكنت عليك فى تلك المدة بمنزلة الحاكم والضابط لم تزل تحت امرى
وانقيادى واما بعد الان فمرافقتى معك وموافقتى لرايك
فى جميع حركاتك وسكناتك هى عبارة عن قيامى بخدمتك وامتثال
امرك فلا سبيل للغضب والشهوة ان يجعلاك هدفا للسهام
الملام ولا سلطان عليك لسوء الخلق ان يخرجك عن طريق
الاستقامة والانتظام وحيث قد صار عنان اختيارك فى يدك
فلم يبق لى محل الى نصحك وتربيتك فاجعل صحائف وقايعك
السابقة عبرة لاحوالك اللاحقة واسلم ودم والسلام
فلما اورد العقل مقدماته المذكوره وختم كلامه بهذه المقالات
قام النفس عند ذلك حامدا لله وشاكرا له على ما منحه واولاه
وبادر الى الطاعة والعبادة لمولاه واقام على مسلك الانسانية
مدة حياته وبقاه انتهى والحمد لله على التمام والصلاة والسلام
على سيدنا محمد سيد الانام وعلى اله واصحابه مصابيح الظلام ما غرد القمرى وناح
الحمام وكان الفراغ من تعريبها يوم الاربعاء مستهل شهر ذى القعدة الشريفة
سنة تسع وثمانين ومائتين والف